الأم العذراء

الأمير عزام

عنوان الكتاب : الأم العذراء
الموضوع : رواية
التأليف : الأمير عزام
مراجعة لغوية : أحمد المنزلاوي
تحرير أدبي : أحمد المنزلاوي
الإخراج الفنيّ : عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف : مروة فتحي
رقم الإيداع : **2018/ 23515**
الترقيم الدوليّ : **978-977-6643-42-0**
الناشر : **دار (المثقفون العرب) للنشر والتوزيع**

elmosakafonalarab@gmail.com

00201022147668
00201013029749

شيرين القاضى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الفصل الأول

في مساء ليلة صيفية غاب عنها القمر، وتلألأت النجوم الساحرة لترسم لوحات بديعة في السماء المظلمة، لمعت بألوانها الفضية، أبهرت الناظر إليها، وامتزجت معها أنوار باهرة أخرى ذات ألوان مختلفة.

ألعاب نارية أطلقها أحد القصور الموجودة بحي خاص بصفوة المجتمع ممن يمتلكون المال والسلطة بمدينة الشيخ زايد بالسادس من أكتوبر لتضئ أرض الحي وينجلي الظلام عنه فتظر معالم الثراء، قصور فخمة متباعدة بينها جفاء لا يختلف كثيرًا عن ساكنيه يفصل بين كل قصر وآخر جنان وحدائق وقنوات ماء عذب في مظهرها بديع في جوفها لا تختلف كثيرًا عن القبور.

حفل زفاف لاوجا ابنة السيد مهاب الكبرى بقصره داخل إمبراطوريته، قصر كبير شيد على غرار قصور الخلافة، مبنى شاهق الارتفاع مزين بالنقوش الإسلامية، على حواف جدرانه وأعمدته الشاهقة، صور رائعة مقتبسة من أعمال كبار الفنانين زينت زجاج القصر، تماثيل صغيرة نحتت على الجدران الأمامية وعلى جانبي الممر المؤدي إلى باب القصر، عبرت عن الحضارة الفرعونية الممزوجة بالحضارة اليونانية، يخيل إليك أنك بمتحف لفنون العمارة للحضارات المختلفة، وليس مبنى يقطن به أشخاص يستأنسون العيش فيما بينهم.

حديقة القصر المترامية الأطراف تعدت مساحتها المائة فدان تقريبًا، على أطرافها يوجد ملعب للغولف، وبداخل الحديقة الكبيرة حديقة أخرى صغيرة تحيط بالقصر، مساحتها حوالي خمسة أفدنة.

على مد بصرك ترى سورًا عاليًا من الحجارة المتراصة بطريقة هندسية فريدة، يعقبه سور من أشجار الصنوبر العالية، يفصل بين الحديقتين، يتوسط الحديقة الصغيرة قناة من الماء العذب تتغلغل في الحديقة كشريان يسري بها، يحيط بالقناة أعمدة دائرية متوسطة الارتفاع تحمل قبابًا صنعت من حجر الجرانيت الناعم، تم زخرفته بزخارف رومانية بديعة، غطت معظم القناة.

على جانبي القناة أُنشيء مسرح كبير لا يقل عن مسرح الأوبرا في شيء، سواء في حجمه أو فخامته، موسيقى ومطربون صعدوا للمسرح لتقديم فقراتهم؛ احتفالا بزفاف لاوجا ، ابنة الرابعة والعشرين.

اختار لها والدها اسمًا تركيا بمعنى ابتهال، كما اختار لها زوجًا هو ابن عمها غير الشقيق نضال.

عزفت الموسيقى في حديقة القصر وقد مُلئ الجو بمظاهر الثراء الفاحش؛ فعلى مائدة العرس وجد كافيار الحوت الأبيض تم جلبه خصيصًا للحفل من إيران، فطائر كبد الأوز الشهية تم إحضارها من فرنسا، الكثير من المأكولات اللذيذة التي أحضروها من الصين والهند وأمريكا، كل ذلك لا يضاهي مأكولات الشيف التركي بوراك ومأكولاته العربية الشهية استقدمه مهاب خصيصًا لحفل الزفاف، لا تعرف إن كان لإطعام المدعوين أم لتقديم فقرات لا تختلف عن فقرات الساحر العالمي ديفيد كوبر فيلد.

زينت الحديقة الكبيرة بالأنوار البراقة تراصت بطريقة هندسية لتنعكس إضاءتها في الماء؛ لتحول تلك القناة التي تسري في القصر إلى لآلئ لامعة.

السجاد التركي اليدوي الملقى على الأرض في كل مكان، ثمنه يتعدى المليون جنيه؛ مراسم كبرى تضئ الأرض قبل السماء، وتفوق مراسم المهرجانات العالمية.

استمرت الفقرات الاستعراضية على المسرح الكبير لمطربين عرب، لا تعلم جنسياتهم تحديدًا لكنك تعلم جيدًا أنهم يتحدثون العربية على الأقل.

فرقة أخرى مكونة من خمسة أشخاص أو يزيد؛ قامت بالغناء وعزف الموسيقى، لا تعلم هويتها تحديدًا أو جنسيات أعضائها؛ فمنهم الأشقر والأسود والقمحي والأصفر ومن جعل من رأسه لوحة فنية متعددة الألوان، وكانت فقراتها بالإنجليزية والفرنسية.

بدأ الحفل يعلن عن نهايته فلم يتبق مطرب، أو فرقة لم تؤد فقراتها قبل أن تُعزف الموسيقى الرسمية لزفاف أي عروسين، ساد صمت تام على المسرح، لم يسمع غير همس المدعوين، استمر الهمس حتى فوجئ الجميع بمجموعة من الفتيات تتقدمهن أخت العروس الصغرى نالين، ابنة الواحدة والعشرين من العمر، صعدن المسرح اصطففن صفًا واحدًا في مواجهة العروسين

احكمت نالين يديها على (المايك)، تقدمت خطوة للأمام تاركة صف (الإشبينات) في اتجاه العروس مما أتاح لأختها لاوجا أن تترك أحضان عريسها المحكم بقبضته على خصرها، لتتراقص معها، لم يسمح لها العريس بسهولة أن تبتعد عن أحضانه بل إن لاوجا تملصت منه عنوة.

تركت لاوجا قبضة نضال بمفردها؛ لتمسك بيد اختها الرقيقة الوحيدة. وبدأ الإيقاع على أنغام أغنية المطربة التركية هاديسا (تك تاك توك) رقصت نالين ومن خلفها الإشبينات.

إيقاع صاخب يستمتع به الشباب، يعشقونه ويتراقصون عليه، الغريب أن كل من كان بالحفل صغير أم كبير، بدأ بالرقص كل من بالحفل حتى من تخطت أعمارهم الستين، رقصوا على تلك الآنغام أو بالأحرى تفاعلوا مع جسد نالين الراقص، تفاعلوا مع جسد يتمايل مثل الأفعى عند سماعها مزمار ساحرها.

بدأت نالين في التمايل مع كل نغمة من نغمات الأغنية، أظهرت مفاتنها، وإمكانياتها في الرقص، بدت كأنها راقصة عالمية وليست فتاة عادية.

الجميع تفاعل مع جسد نالين الراقص سادة القوم وحكامها؛ يتمايلون مع جسدها الفاتن، الذي ظهر منه الكثير، حاولت الوشوم الكثيرة المنتشرة على جسدها - وشوم لثعابين وفراشات ورجال وأشياء غريبة غير مفهومة - أن تستر جسد نالين، أن تمنع مفاتنها من الظهور؛ لكن هيهات أن يخفي الفن الفتنة بل في الغالب يظهر مفاتنها أكثر.

تغير حال لاوجا كثيرًا بعدما ارتمت في أحضان نالين، تتراقص معها، تحول الوجه العابس المضطرب من قبضة عريسها نضال ومن احتضانه لها إلى وجه مبتسم راقص.

الصخب يزداد، الإثارة في ذروتها، الكل يتمايل حاملا كأسه وعصاه ووردته، عدا السيد مهاب والد لاوجا ونالين، الواقف أمام باب القصر متكئ على عصاه، يبعدها عن جسده مد زراعه، تساعده عصاه على استقامة ظهره، الذي انحنى قليلًا، لا تدري أنت هل بفعل تقدم العمر به بعدما تخطى الستين أم بسبب الهموم التي حملها فوق ظهره طوال عمره، حتى يصل إلى ما وصل إليه.

حياته سابقًا لم تكن مليئة بالورود والأزهار كما حالته اليوم، لم يولد وبفمه ملعقة من ذهب، أو أي ملعقة، بل كانت حياته كلها عجب.

والده المعلم شفيق كان رجلًا مزواجًا، كان ينظر للنساء على أنها سلعة، يدفع المال في مقابل الزواج من إحداهن، بما يدعيه الناس المهر.

تزوج والده الكثير من النساء، وترك وراءه إرثًا من العادات السيئة والضغائن بين أبنائه غير الأشقاء، لاسيما الابن الأكبر مهاب.

شاهد مهاب كل زيجات والده وأخواته، الكل ظل يشاركه كل شيء عنوة، في طفولته وشبابه مما ترك في نفسه أثرًا سيئًا تجاه النساء.

نظر مهاب للنساء على أنهن جنس متطفل على الرجل، لا فائدة منهن، يستنزفن أمواله قبل قواه، ويسرقن شبابه؛ ثم يتركنه جثة هامدة.

عامل كل النساء معاملة لا تختلف عن معاملة الأمريكان للهنود الحمر، يحصل منهن على مبتغاه، يستنزف أموالهن ثم يتركهن في جنونهن. بعينيه الجاحظتين البارزتين بدت كأنها ستخرج من وجهه من كثرة تلصصه على كل من حوله، فقد مهاب الكثير من وزنه بفعل الزمن، والأمراض المزمنة مثل السكر والضغط والمرارة وغيرها، تطفلت الأمراض على جسده؛ أنهكته وقضت على قواه، لكنها لم تؤثر على عقله أو تفكيره.

فعندما يُصاب القوي بالمرض يشعر بالضعف، يحن قلبه ويتقرب إلى ربه، ولكن مهاب كان على العكس؛ فإن كانت قوته ضعفت؛ فبماله اشترى نفوسًا كثيرة، زادته طغيانًا فوق طغيانه.

وقف مهاب يراقب المدعوين واحدًا تلو الأخر، ينظر إليهم وهم يتراقصون أمامه، يتعجب من أن فيهم وزراء وكبار المسؤولين في الدولة، ويتراقصون هكذا على الأنغام التركية مع ابنته.

تركيا تلك الدولة التي ينعتوها في الصباح بالدولة الخائنة المستعمرة، وحين يأتي المساء يتراقصون على موسيقاها، ولِمَ لا؛ فجميع الشعب الآن يتغنى بالأغاني التركية، ويشاهد مسلسلاتها على الرغم من إبداء العداوة إليها علنًا أمام الجميع.

ابتسامته دائمًا على وجهه المجعد بكثرة طياته، بأسنانه البنية التي تلونت من كثرة شربه لقهوته الإندونيسية الخاصة، قهوة تعرف باسم (الكوبي لواك) سعر الفنجان الواحد منها يتجاوز الخمسين دولارًا أمريكيًا.

لم يلاحظ أحد ابتسامة مهاب من شدة سمار وجهه، وأسنانه البنية، فبدا من بعيد كوجه أسود قاتم صامت لا تظهر منه أي ملامح أو أية انفعالات. بدأ السواد يتزايد بعدما تخطى عمره الأربعين عامًا، وبعد موت زوجته أم بناته السيدة شهيرة.

ابتسم الجميع في وجهه، وأشاروا إليه بكؤوسهم وعصيهم وسيجارهم، عبروا عن سعادتهم بما لمسوه منه من كرم الضيافة وعظيم المعاملة.

انتهت نالين من فقرتها الغنائية الراقصة، وحانت اللحظة الحاسمة، التي ينتظرها دائمًا كل من في حفل الزفاف، خاصة ممن لم تتزوج بعد من البنات.

وقف العروسان على المسرح، هدأت الموسيقى وأظلم المكان تمامًا فيما عدا الضوء المسلط على العروسين على شكل قلب، جميع من بالحفل وقف خلفهما يتراصون في صفوف، الشباب والفتيات ممن لم يتزوجوا بعد،

ألقت لاوجا الورود في الهواء خلف ظهرها، تدافع الجميع من خلفها، الكل طار في الهواء كي ينال شرف الإمساك بالورود، طارت نالين هي الأخرى؛ التقطت الورد بعقلها وقلبها قبل يديها، وكأنها تتمنى يوم زفافها، لم تكن خدعة أو أن بينها وبين لاوجا اتفاق مسبق، لكنه القدر دائمًا ما يختار، نظرت نالين إلى الورود في يدها؛ شعرت أن موعد زفافها قد اقترب؛ فالحظ قد اختارها، غمرتها السعادة فابتسمت وظهرت غمازاتها؛ هنأها الجميع، وصفقوا لها؛ زادها التصفيق فرحًا وخجلًا، وشعرت أن اليوم يوم زفافها.

طارت نالين مرة أخرى في الهواء تعبر عن فرحتها لعلّها تمسك النجوم مع الورود بكلتا يديها،

قبل أن تلامس قدميها الأرض، تحولت السعادة بوجهها في لحظة إلى شحوب وذبول واصفرار، وقفت لبرهة، تمايلت قليلًا برأسها، أمسكت رأسها لعلها تفيق أو تتضح الرؤيا أمام عينيها بعدما علتها غشاوة، منعت عنها الرؤية رويدًا رويدًا، حاولت أن تتمالك نفسها، أن تقف لكنها لم تستطع الصمود؛ فخر جسدها على الأرض.

هدأت الموسيقى وساد الصمت التام، علا صوت الفزع الذي عبر به الحضور عن قلقهم على نالين عندما سقطت على الأرض؛ ابتعدت الإشبينات والشباب عنها أحاطوا بها من بعيد، لم يقترب منها أحد غير أختها، التي ارتمت بالقرب من جسدها يقتلها الهلع،

أسرع إليها والدها يجر قدميه، وتسنده عصاه، ومن خلفه صديق العائلة المقرب الدكتور ممدوح.

بسرعة جثا الوالد على الأرض محاولا حمل ابنته، لكنه لم يقدر، ولم يتجرأ أحد من المدعوين أن يقترب من جسد نالين، الكل واقف متسمر لا يقدر على الاقتراب منها، نضال ابن عمها أو غيره. ترك مهاب جسد ابنته ليحملها الطبيب ممدوح لداخل القصر.

أسرع ممدوح يمد خطاه داخل القصر، كأنه يعلم كل تفاصيله، ولِمَ لا فهو صديق العائلة المقرب، أدخلها حجرتها في الطابق العلوي، ووضعها في سريرها، تبعه مهاب ولاوجا وخادمة نالين الخاصة هند، القلق يزداد على وجوههم، لم تنتبه لاوجا للفرح أو عريسها نضال، تركته وحيدًا جالسًا على المسرح مع مدعويه، فكرت فقط في نالين فاقدة الوعي...

كشف ممدوح على نالين كشفًا ظاهريًا، قاس النبض والضغط، بعدما أحضر الخادم حقيبته الطبية من سيارته بالخارج، طمأنهم جميعًا قائلًا:

لا تقلقوا ليس بها أي شيء يدعو للقلق، الضغط والنبض حتى السكر جيدين، إنها تتمتع بصحة جيدة.

سألته لاوجا والفزع يملأ أنفاسها:

- ولمَ فقدت الوعي إذن؟ لِمَ لا تفيق؟!

أجابها ممدوح:

- لا تقلقي صغيرتي إنه أمر عادي، يبدو أنها بذلت مجهودًا جبارًا اليوم في حفل زفافك، أو أنها لم تتناول طعامًا جيدًا اليوم،

فكما تعلمين أحيانًا الفرح يمنع الشخص من أن ينتبه إلى غذائه وصحته.

عقدت هند يديها على صدرها قلقًا على نالين قائلة:

- ما بها ليس إلا عينًا.

قام ممدوح من على فراش نالين موجهًا كلامه لمهاب قائلاً:

- إنها بخير لا تقلقوا، وإن كنت أريد منك يا مهاب أن تحضرها إلى المشفى في أي وقت؛ حتى نقوم بعمل كشف شامل وتحاليل وأشعة وغيره؛ حتى نطمئن على صحتها جيدًا.

انزعج مهاب من كلام ممدوح. فقال متسائلًا: لماذا تذهب أليست بخير، ألم تقل ذلك قبل قليل!!

- لا تقلق أخي إنها بخير، لكنه أمر روتيني للاطمئنان فقط ليس إلا.

- معك حق، ولماذا لا نطمئن عليها، شكرًا لك ممدوح على تعبك وحملك ابنتي، يبدو بأن أجلي قد قرب؛ فلم أستطع حملها.

نظر الطبيب إلى مهاب من أسفل نظارته المربعة، ثم حركها بإصبعه تجاه عينيه، لتصل إلى أعلى أنفه متعجبًا من شكر مهاب له ليخبره:

-أنا أعلم أنني نلت شرفًا عظيمًا اليوم بحمل ابنتك بين زراعي، بالرغم من أنني أحملها دائمًا منذ أن أتت إلى الدنيا على يديّ.

ضحك مهاب من كلام الطبيب، وبدت أسنانه الصفراء في الظهور مجددًا ليقول:

-أنت أخي.

ضحك الاثنان كل على نيته، فممدوح يضحك متعجبًا من حال مهاب، ومهاب يضحك فرحًا بعدما علم بأن ابنته بخير، لكنه سرعان ما عاد إليه عبوسه المعتاد؛ حيث فوجئ بلاوجا محتضنة أختها تبكي بصوت غير مسموع، يُغرق دمعها فم أختها، وكان ذلك من قلقها المفرط عليها، انزعج مهاب من منظرها، أمسكها من معصمها وجذبها بعيدًا عن أختها، مخاطبًا إياها بعنف:

- لماذا تبكين؟ ماذا حدث إنها بخير، فلقد أفسدتِ مكياجك ووجهك، اتركيها تنام الآن، وعودي إلى عرسك وعريسك، واصلحي ما أفسدتِه في وجهك.

حاولت لاوجا أن تبرر موقفها، حاولت أن تدعي سببًا كيلا تترك أختها اليوم، حاولت أن تجد سببًا كي يبعدها عن أحضان زوجها في ليلة زفافها...

- والدي العزيز إن نالين متعبة، وتحتاج إلى رعاية، وأنا لا أستطيع أن أغادر حجرتها الآن قبل أن تفيق، وأطمئن عليها.

كان كل ما بعقل لاوجا الآن هي نالين ولا شيء آخر، بل إنها جلست بجوارها على الفراش مرة ثانية، ورفضت أن تتركها واحتضنتها بقوة.

تريد أن تختبئ في أحضانها تبتعد عن عريسها ليلة زفافها، لكن أباها أمسكها مرة أخرى من عضدها، وعنفها ودفعها إلى خارج الحجرة قائلًا لها:

- ماذا تقولين؟! والزفاف والمدعوين هل جننتِ؟!

أمسك الطبيب كتف السيد مهاب قائلًا له:

- اهدأ أخي، تريث لا تنفعل، إنها ابنتك، ولابد أن تعاملها معاملة أفضل، إنها ليلة زفافها، لكنها بالطبع قلقة على أختها، ولا يكون التعامل بهذا الشكل، هيا بنا جميعًا نغادر الحجرة؛ كي تستريح نالين، والمدعوون في الأسفل سيقتلهم القلق إن تأخرنا عليهم أكثر من ذلك.

انصرف الجميع من حجرة نالين فيما عدا الخادمة هند، طلب منها مهاب عدم مغادرة الحجرة نهائيًا، لأي سبب كان، فعليها البقاء لحراستها.

وصل مهاب ولاوجا إلى المدعوين، ووقف مهاب أمامهم، تحدث إليهم وأخبرهم بأن نالين بخير ولا داعي للقلق، فالأمر ليس إلا إجهادًا بسيطًا لا أكثر.

فرح الجميع وهللوا على سلامة نالين، تفنن الجميع في إخراج ألمه المصطنع على مرض ابنته. وعاد حفل الزفاف إلى ما كان عليه، عزفت بعض الموسيقى كي يتناسى الأشخاص ما حدث، تراقص البعض قليلًا وعادت إليهم الابتسامة من جديد، عُزف اللحن الأخير لحفل الزفاف، لحن زفة العروسين، وقد اختلفت عن أي زفة لأي عروسين؛ فملامح وجه لاوجا عابسة وحزينة؛ بسبب انصهار مساحيق التجميل، بحرارة دمعها حزنًا على نالين، وانفطار قلبها على أختها ظهر جليًا في خطواتها، جرت الخيبة بقدميها، ستزف على من كرهته كثيرًا، على من اعتبرته عدوها الأول، لطالما كرهته، كرهت أنفاسه، ليس هذا بزواج بل أشبه بمراسم دفن.

الفصل الثاني

زُفت لاوجا إلى عريسها أقلتهم السيارة إلى المطار ومنه إلى فرنسا؛ لقضاء شهر كامل في إحدى مدنها الساحلية.

انتهى العُرس وانصرف المدعوون بعدما غنموا من كل ما لذ وطاب من طعام، وعقد صفقات مقابل هدايا باهظة الثمن، ساعات مرصعة بالماس وحُلي من ذهب ولؤلؤ وغيره أعطوها لمهاب كي ينالوا رضاه.

دخل مهاب إلى قصره الكبير بخطوات ثابته تُسابق أقدامه عصاه، التي لا تفارق يده، لم يجد ببهو القصر أحدًا فالكل انصرف، نالين نامت في سريرها متعبة منهكة، ومعها الخادمة هند بالغرفة، وباقي الخدم كل قد سكن في مضجعه بعد عناء يوم شاق أرهقهم كثيرًا.

لم يجد مهاب أمامه غير والدته، خرجت إليه من غرفتها المجاورة لغرف الخدم في الطابق السفلي، على كرسيها الكهربائي المتحرك، عجوز تخطى عمرها الثمانين عامًا بعينيها الزرقاوين، وبياض وجهها الناصع، بملابسها البيضاء المزركشة بخيوط فضية لامعة، زينت ثيابها، تجعل من ينظر إليها يهدأ ويرتاح ويتقدم نحوها، يحنو عليها، يُقَّبل رأسها ويديها كما لو أنه شاهد ملاكًا هبط

من السماء، تقدم بها العمر وترك على وجهها تجاعيدًا، أخذ منها صحتها في أطرافها، فلا تستطيع الحراك، لكن الله ترك لها عينًا ترى وتدرك، وعقلًا يتذكر ويحاور، فلا يزال عقلها يتمتع بقوة امرأة في الثلاثين من عمرها.

نظر مهاب إلى عينيها بغضب شديد، يعلم ما يجول بخاطرها، وما سيلفظه لسانها الحاد، كما يحدث دائمًا.

نظر إليها ثم سألها:

- لماذا لم تخرجي إلى العُرس، أليست تلك حفيدتك، وقرة عينك؟! أليس حديثك دائمًا أنها هي وأختها السبب الوحيد الذي جعلك تقيمين معي، ولا تغادرين هذا القصر؟!

تقدمت بكرسيها المتحرك إلى مهاب، وصلت إلى ساقه مباشرة، بعدما أطاحت بعصاه من طريقها لتخبره:

-هما قرة عيني بالفعل، لكن كيف أكون شاهدة على سلب إحدى عيني!!

انفعل مهاب وبدأ الشرر يتطاير من وجهه الأسود كأنه حمم بركانية، وأعطى ظهره إليها قائلًا بغضب:

- سوزان.. أمي أرجوك.. ماذا تقولين!! هل فقدت صوابك مجددًا؟!

انفعلت الأم ودارت بكرسيها لتقف أمامه مرة ثانية، لتحادث عينيه فقالت:

-اسمي نفيسة، وليس من حق أحد أن يطلق عليّ اسمًا غير أبي وأمي، ولولا هذا الكرسي لكنت صفعتك على وجهك؛ كي تفيق من جنونك، ومن جنون مالك.

-هل زواج ابنتي من رجل طالما أحبها وطلب ودها جنون!! أنت تعلمين أنه ألح كثيرًا في الزواج منها، بل إنه طلب يدها أربع مرات من ذي قبل.

-نعم بدا عليه أنه يحبها، نعم بدا عليه عشقها، ألم تظن ولو للحظة أن كل هذا الحب والعشق ما هو إلا مجرد تمثيل مصطنع، يخدعك به علَّه ينال من مالك، حتى وإن لم يكن، ألا تعلم أنها لا تحبه، لا تحبه يا مهاب هل تعلم معنى كلمة حب؟

-نعم أعلم معنى كلمة حب، لكن الحب خلق للرجال فقط لا للنساء، النساء ما هن إلا مجرد تابعات للرجل، خُلقن من ضلعه كي يكملنه، وليس لهن أدنى فكرة أو حق للحب، تابعات يا أمي ولسن متخذات قرار.

ضحكت الأم ضحكة سخرية، تنم عن غضبها الشديد....

واصل مهاب حديثه وهو ينظر إليها نظرة خبث:

- أعلم أنك تكرهين العريس لأنه حفيد زوجة أبي الأخرى.

ضحكت الأم ضحكة أخرى لتخبره:

- الأخرى أم الرابعة أم ماذا؟ بالطبع من شابه أباه فما ظلم، تتكلم عن الحب على أنه قرار يا للعجب... هل الحب قرار!! لقد أجبت عن سؤالي بالفعل، فأنت لا تعرف ما هو الحب، وكيف تعرفه وقد فعلت ما فعلت سابقًا مع من وهبتك قلبها، شهيرة زوجتك أم بناتك.

انفعل مهاب وأصبح وجهه أكثر سوادًا، ثم ذهب باتجاه عصاه؛ ليحملها من على الأرض، وأشار بها إلى أمه المقعدة، وهو يتراجع باتجاه السلم صاعدًا إلى الطابق العلوي، صارخًا:

-أحذرك يا نفيسة من أن تفتحي هذا الملف مجددًا، شهيرة في طي النسيان، وأي حديث عنها أمامي أو من خلفي؛ ستندمين عليه ندمًا شديدًا أُحذرك!

أدار مهاب ظهره لأمه وتركها صاعدًا لأعلى؛ ليطمئن على نالين، أدار ظهره لمن أدارت ظهرها له بل أدارت قلبها عنه، تبكي على سوء تربيتها.

حاول مهاب الاطمئنان على نالين، فدلف إلى حجرتها، وجدها نائمة مثل الملاك ترعاها خادمتها هند، فانصرف كي لا يوقظها.

نالين ابنة الواحدة والعشرين، تشبه جدتها كثيرًا، ورثت منها عينيها الزرقاوين، وبياض وجهها الناصع، بل زاد عليهما لمعان وضي الشباب في وجهها كأنه مصباح مضيء، ينبعث منه النور؛ ليصيب الناظر إليها بانبهار شديد؛ يجعل عينيه تتوارى خجلًا مما ترى من جمال وبريق، بوجهها غمازتان تطلان على خديها النَضرين كلما داعبت شفاهها العليا السفلي، سواء بحديث أو ابتسامة خفيفة، فما بالك بابتسامة عريضة ترى فيها أسنانها، التي تراصت في صف بديع، فتظهر الغمازتان بصورة أكبر مع صوت ضحكتها الموسيقي المميز ذي الإيقاع العالي كثيرًا.

قصيرة القامة قليلًا بوزن مثالي يناسب طولها، انحناءات جسدها وجمالها في مناطق إثارتها عند الخصر والصدر وساقها؛ جعلها تجمع بين مواصفات الجمال قديمًا وحديثًا، فليس عودها ممشوقًا نحيفًا كالفرنسيين أو ممتلئًا بعض الشيء، لكنه جمع بين هذا وذاك،

تقدم إليها والدها في الصباح، كي يطمئن عليها؛ فوجدها نائمة في فراشها، جلس جانبها، فحاول ايقاظها

- صباح الخير نالي.

بصوت ناعس استفاقت:

- صباحك سعادة أبي.

- ما بك؟ ماذا ألم بك صغيرتي؟!

-لا تقلق يا أبي إنه مجرد دوار بسيط بسبب الرقص والغناء لا تقلق.

-لا نالي بل قلقت عليك كثيرًا سنذهب اليوم إلى الطبيب ممدوح في مشفاه؛ للقيام ببعض الفحوص الطبية للاطمئنان على صحتك.

-أبي لا تقلق إنني بخير جدًا جدًا

-لا بالفعل أنا قلق جدًا جدًا، إننا نمتلك أموالًا لا نقدر على إنفاقها في مائة عام، ما فائدتها إذا لم نستمتع بها، وتكون في خدمتنا طوال الوقت.

قامت نالين من فراشها لتقف وتمسك برقبة أبيها من ظهره، وكأنها طفلة في الرابعة من العمر، حاول مهاب أن يقف ويحملها فوق ظهره، لكنه لم يستطع؛ فجلست جواره تخبره:

-إذن يا أبي أنت تريد أن تنفق بعض المال؛ وهو كذلك، فحوص طبية، وهدايا ورحلة إلى البحر لي ولأصدقائي..

ضحك الأب كثيرًا وقال لها:

- كل طلبات الأميرة مجابة لا تقلقي عزيزتي، لكن أريد أن أخبرك شيئًا.

- تفضل يا أبي.

- أعلم أنك تغارين ولا تحبين أن يلمس جسدك رجل، لكن عذرًا تعاوني مع الطبيب ممدوح، فهو رجل كبير ومثل والدك.

- أبي ماذا تقول!! دعك مما كان في عقلك سابقًا لم أعد تلك الفتاة ابنة الثالثة من العمر لقد كبرت ولا يزال عقلك يخيل إليك أنني صغيرة !!

- لازلتي صغيرة ولن يذهب بك العمر بعيد عن الثالثة من عمرك هكذا أنت في عقلي وتفكيري يرفض أن يصدق أنك في العشرين من العمر.

- أبي إننا في عام ألفين وسبعة عشر، وأنا تخطيت العشرين من العمر، إنني متفتحة بما يكفي، وهذا طبيب فلا ضير من أي شيء، هل لا زلت تغار على أبي؟!

- ليست غيرة، بل خوف وقلق عليك.

-أبي متى نذهب للطبيب، أنا لست صغيرة، انسَ ما حدث في الماضي لقد وسعت أفقي، وأدركت يا أبي.

-أميرتي المدللة فطورك قادم إليك بعد لحظات، هيا لا تضييعي وقتي، افطري ونذهب معًا إلى المشفى.

- سأكون جاهزة في الموعد أبي لا تقلق.

انهت نالين فطورها، وغادرت مع والدها السيد مهاب إلى المشفى.

نالين فرحة بابتزازها والدها لموافقتها على الذهاب للطبيب، وما غنمته منه، والأب قلق على ابنته يخاف أن يصيبها مرض أو أي مكروه، فخلايا عقله تساوره بالقلق من كثرة الأمراض المنتشرة

في هذا الزمان، فالمرض أصبح لا يفرق بين صغير وكبير، وموت الفجأة أصبح في كل بيت.

وصل مهاب ونالين إلى المشفى؛ استقبلهما ممدوح بنفسه ، أجرى جميع الفحوص اللازمة، وأشرف عليها بنفسه، استغرقت تلك الفحوص قرابة الست ساعات؛ مما أصاب مهاب بالتوتر الشديد.

انتهت الفحوص، نامت نالين في حجرة خاصة بالمشفى بمفردها بعدما انهكتها الفحوصات الطبية، طلب ممدوح من مهاب الاجتماع معًا بمكتبه؛ ليخبره بنتائج الفحوص والأشعة، وبأنفاس متقطعة وبلسان تحشرجت الكلمات في فمه، حاول الطبيب ممدوح أن يخبر مهاب ما توصل إليه من نتائج..

لم يستطع ممدوح أن يتحدث، فصوته لا يخرج، مما زاد القلق والتوتر في قلب مهاب، فسأله:

- أيها الطبيب ما بك تحدث.. أخبرني ماذا حل بها، هل هناك خطب ما؟!

أجابه ممدوح بعدما استجمع بعض الحروف كي يستطيع لسانه النطق قائلًا:

-هي بخير لا تقلق.

نظر مهاب إليه باستغراب قائلًا:

- إن كانت بخير إذن ما بك!! ماذا أصابك؟ ولمَ كل هذا التأخير؟!

- كل هذا التأخير للتأكد من حالتها، وإن كان ما بها حقيقيًا وليس خطأ في التشخيص.

-خطأ في التشخيص... ما بها... أنت تقول إنها بخير، ثم تقول إن بها شيئًا، تحدث ستصيبني بالجنون.

تنهد الطبيب، حاول أن يخرج الكلمات مع تنهيدته، لكنه عاد للصمت مرة أخرى، ألصق جسده بكرسي المكتب، ووضع كلتا يديه خلف رأسه، وطلب من مهاب أن يهدأ، ثم حرك نظارته المربعة، التي كلما نظر بها إلى مهاب تحركت عيناه خجلا مما يعرف.

- ابنتك حامل...

هوى الخبر كالإعصار على مسامع مهاب، اقتلع به قلبه خارج جسده، لكن عقله كذّب ما سمع، فطلب من ممدوح إعادة الكلمات مرة أخرى على مسامعه؛ ليكرر ممدوح قوله:

- نعم حامل.

-حامل ما بك أيها الطبيب إنها نالين، هل فحصت مريضة أخرى؟

-لا يا أخي فحصت ابنتك، فحصتها عشر مرات.... نالين حامل يا مهاب.

- كيف؟ ماذا تقول!!! إنك تهذي... حقًّا هل جننت؟!

-أخي تمالك أعصابك، أعلم أن الأمر كارثي، أرجوك أن تتمالك أعصابك جيدًا؛ لأنني أمام شيء عجيب حقًّا.

بدأت علامات الغضب تعود على مهاب بالسلب؛ مما جعل وجهه الأسود يزداد شحوبًا واصفرارًا، كمن أصيب بالصفراء في كبده، وعيناه تغمرهما الدموع المتحجرة، التي تأبى أن تخرج، وفمه بدأ يرتعش رعشة خفيفة، وكأنه مقبل على شلل نصفي.

حاول ممدوح تهدئته، لكن مهاب لم يهدأ بل انفعل أكثر، وبدت شرايين رقبته في الظهور، بدت وكأنها تريد أن تفارق جسده بسبب انفعاله، أحضر ممدوح محقن مهدئ وحقنه به، لم يتحرك مهاب أو يبدي أية ردة فعل، فلم يشعر بأي ألم، فشلت حواسه ونزلت غشاوة جعلت عينه لا ترى إلا كلمة واحدة أمامه "نالين حامل"!

ذهب مهاب في نوم عميق كي يهدأ وتستريح أعصابه، مفعول المهدئ يمتد لساعات، قد يستمر معه طوال الليل ولا يستيقظ إلا في الصباح.

مرت ساعة ومهاب مستلقٍ على كرسيه، بعدما عدل ممدوح من وضعية الكرسي ليحوله إلى سرير، ولكن مهاب استفاق سريعًا؛ مما جعل ممدوح يفزع، فمفعول المهدئ يمتد لساعات، فكيف ذلك!!

حاول مهاب مجددًا أن يستفسر عن حال ابنته، عقله يكاد يذهب في سبات عميق، عيناه لا ترى جيدًا فهناك غشاوة على عينه لا تختلف عن الغشاوة التي طمست على قلبه منذ صغره، سأل ممدوح عن نالين فأجابه ممدوح قائلًا:

- المشكلة أمامي الآن يا مهاب في أمر، وأشعر بأن هناك خطب ما، لا أفهمه جيدًا.

بصوت خانق من مهاب، الذي بدأت روحه تهرب من فمه شيئا فشيئا

- ما الذي لا تفهمه؟

أجابه ممدوح:

- ابنتك حامل في شهرها الثاني، ولم يبدُ عليها أي شيء يجعلها تعلم بما هو كائن في أحشائها.

- هل أخبرتها بذلك ؟

- بالطبع لا لم أستطع قبل أن أحادثك لكن الأغرب في الأمر وهو ما دفعني أن لا أخبرها أن غشاء بكارتها سليم ولم يُمس، لقد جال بخاطري أنها سمحت لشخص ما أن يمسها؛ فسلمت له نفسها، ومن ثم قامت بإجراء عملية ترقيع لغشائها، تلك الظنون أُبيدت نهائيًا بعدما قمنا بكافة الفحوص.... ملخص الأمر أننا أمام حالة عجيبة، فنالين حامل وغشاء بكارتها سليم لم يمس، والأغرب أنه طبيعي مائة بالمائة.

الفصل الثالث

بعد رحلة غير شاقة وصلت لاوجا ونضال إلى الفندق الخاص لقضاء أسبوع بمدينة نيس الفرنسية ومن بعدها الانتقال إلى جزر المالديف، شهر كامل وربما يزيد سيكون شهر عسلهما سيتم التنقل فيه من مكان إلى آخر لقضاء أجمل لحظات العمر.

دخل العروسان إلى الجناح الخاص بهما بفندق راديسون بلو نيس، طعام فاخر من مأكولات البحر اللذيذه مع مشروبات كثيرة منها ما هو محرم شرعًا ومنها ما هو حلال كانت في استقبال العروسين.

بدأ القلق والتوتر يغزو رئتي لاوجا بعدما غادر حاملو الحقائب وتركوا لاوجا ونضال بمفرديهما كي ينعما بأولى لحظات السعادة بينهما.

توجه نضال مباشرة إلى مائدة الطعام وجلس بمفرده يتناول الطعام.

بعد مرور خمس دقائق تقريبًا نظر إلى لاوجا الجالسة بعيدة عنه على الأريكة والتي ظلت بفستان زفافها، ليخبرها:

الطعام لن ينتظر أحدًا، لا أعتقد أنك لا تريدن أن تتناولي الطعام، أعلم جيدًا ما يدور بذهنك حاليًا بل أعلم الكثير عنك وما تكنيه لي في قلبك لذا لا تقلقي سأتناول طعامي ومن ثم سأخلد إلى النوم بضع ساعات من بعدها سيكون الليل قد بدأ سأترجل خارجًا كي استمتع بليل نيس الساحر وفي الصباح سيكون بيننا حديث طويل.

سمعت لاوجا حديث نضال الطويل باستغراب ولم تحرك شفاهها ولو بكلمة واحدة كانت تعتقد أن نضال سيكون وحشًا كاسرًا معها، سيأخذ منها ما كان يصبو إليه عنوة؛ لأنها كانت ستصر على أنها لن تمنحه جسدها طواعية أبدًا.

غادر نضال جناح العروسين وترك لاوجا بمفردها مما أتاح لها أن تتنفس بهدوء فتناولت طعامها ونزعت ملابسها ونامت في فراشها منهكة متعبة لا تدري ما كان يقصده نضال في حديثه معها.

على الجانب الآخر وعند دخول الليل بمدينة السادس من أكتوبر فوجئت نالين بالطبيب ممدوح جالسًا بجوارها يسألها أسئلة غريبة بعدما طلب منه مهاب الانفراد بها ليحاول أن يستفسر منها عن أمر الجنين بعدما انهار عقل مهاب لما سمع فعيناه لن تستطيع أن تنظر بعين ابنته.

- نالين، أنت تعلمين أنني مثل والدك.
- مثل والدي !! أنا اعتبرك صديقًا لي أيها الطبيب.
- جميل منك هذا، لقد مهدتِ لي الطريق كثيرًا.
- مهدتُ لك الطريق إلى ماذا؟
- نالين هل لي أن أسألك سؤلًا؟

نظرت نالين إلى ممدوح نظرة تعالٍ كملكة تسمح لخادمه بالحديث وأشارت إليه بيدها ليكمل حديثه:

- هل لديك حبيب أو صديق مقرب صغيرتي؟

- بالطبع لدي الكثير من الأصدقاء لكن ليس من بينهم حبيب أو رجل مقرب أنا لا أحب أن يقترب مني الرجال استنفر منهم لكن لمَ السؤال؟ وهل له علاقة بما أنا فيه الآن؟
- بالطبع صغيرتي له علاقة لكن الأمر برمته مريب.
- كيف ؟
- لا أعلم، لكن أود منك أن تتذكري جيدًا هل اقترب منك أحد؟
- كيف اقترب؟ لقد بدا كلامك مريبًا لي!

صمت دام بضع لحظات نظر ممدوح بعين نالين وأطال بهما النظر حاول أن يجد أي إجابة بعينها لكنه لم يجد إلا ثورة في حديثها وانفعال شديد وصراخ.

- هل تتهمني بأني على علاقة بشاب ما؟ ماذا وجدت في فحوصاتك؟ لقد بدأ الشك يملأ قلبي عندما تم فحصي من أسفل.. ماذا وجدت؟ هل أنا لست عذراء؟
- أرجوك صغيرتي اهدئي أنت عذراء تمام العذرية .
- إذن ما الأمر ما بك لما كل هذه الأسئلة ؟
- هذه الأسئلة مجرد محاولة لمعرفة سبب حملك ومن أين أتى ذلك الجنين الكائن بأحشائك؟
- حمل جنين عذراء.. ما بك؟ لم يمسسني بشر! لم يمسسني بشر!

كانت تلك آخر كلمات قالتها نالين ثم انهارت جسدًا على الأرض.

الفصل الرابع

ليلة غريبة لم تكن في الحسبان، قضاها مهاب ونالين في المشفى، كل في حجرة منفردة، كلاهما على سرير منفرد يعانيان من انهيار عصبي شديد، تساور عقليهما الكثير من الأمور، يسترجعون حالهما فيما مضى، ماذا حدث!! ولماذا حدث!! لعلهما يجدان جوابًا لما ألم بنالين.

نالين في حجرتها بالمشفى معلق لها المحاليل، وبعض المهدئات الخاصة، التي لا تسبب ضررًا للحمل، تارة تستفيق، وتارة تهذي بكلام غير مفهوم، ينبض قلبها كثيرًا مثلما ينبض مَنْ بداخل أحشائها ،ترتعد أوصالها مما قد يفعله والدها بها، لا تعلم بماذا ستخبره، وكيف تواجهه!! بل كيف سترد على أسئلته كأي أب دنست ابنته كرامته في الوحل، فلا يوجد لديها أي جواب عن ذلك القلب النابض في أحشائها، من أين أتى؟! ومتى؟! وكيف؟! أو مَنْ هو والده؟! لا تعرف...

عقلها لا يستجيب لها ولا يعمل...لا يستطيع التفكير، لا توجد أية معلومات؛ مما أصابها بالجنون.

أما مهاب ففي حجرة أخرى، يفكر كثيرًا، يرفض كل أنواع العلاج، بل ظل في حجرته صامتًا، أغلق كل هواتفه، وانعزل عن عالمه الخاص، ظل يفكر ويسترجع ذكرياته مع ابنته منذ ولادتها، يسترجع حديث ممدوح....

فهو يصدق ابنته لا يكذب لها قولًا، فإن قالت لم يمسسني بشر فحقًا لم يمسسها بشر، ولِمَ لا، فهو شاهد على كثير من حالات نفورها وغضبها إن اقترب منها أي رجل، أو حاول أن تمس يده أي مكان في جسدها، حتى وإن كان رجلًا عجوزًا يداعب خديها بيده، الوشوم التي ملأت جسدها كانت تجعل سيدة تقوم برسمها، بل إنها أخبرت والدها أنها دقت تلك الوشوم؛ كي تداري بها جسدها، فهي تريد أن ترتدي ملابس مثل كل البنات في عصرها، ولا تريد أن يظهر جسدها؛ فأقنعت والدها بأن الوشوم لتغطية ما قد يظهر؛ فاقتنع على الفور، فهو دائم الاقتناع بما تقول، حتى وإن أخبره جميع البشر أنها تكذب.

في صباح اليوم التالي اجتمع مهاب بممدوح في مكتبه بالمشفى، دخل الاثنان وأغلقا الباب جيدًا، طلب مهاب من الطبيب مغادرة المشفى حالًا.

انزعج ممدوح من طلبه قائلًا:

-لا يمكن الآن بسبب سوء حالة نالين، لابد من وضعها تحت الملاحظة لمدة ثلاثة أيام على الأقل؛ حتى لا تخسر نفسها وتخسر الجنين.

تخسر الجنين... سرت تلك الكلمة على قلب مهاب شلالًا؛ أنعشه قليلًا ليسأل الطبيب:

-لا نريد الجنين بل إن خسارته مكسب كبير لنا.

نظر ممدوح إلى مهاب معبرًا عن سخطه وانفعاله من قوله، فهو يعلم أن تلك جريمة أخلاقية فهي بمثابة قتل نفس؛ ليرد على مهاب قائلًا:

- إنني طبيب يا مهاب ولست جزارًا أعلم أن ما بك الآن من تأثير الصدمة، لكن خبرني أليس لديك الفضول أن تعلم مَن فعل هذا بابنتك!

- بالطبع أريد أن أعلم يا ممدوح...

- حقًا تريد؟ أريد أن أخبرك شيئًا، نالين تصر أنها لا تعلم من سبب لها الحمل، وفي اعتقادي أن هناك لغزًا ما، أو جريمة ارتكبت في حقها.

- جريمة.... حقًا ماذا تقصد؟

- دعنا لا نسبق الأحداث أخي، دعنا أولًا نطمئن على حال ابنتنا، ولعل الله لديه فرجًا قريبًا.

اقتنع مهاب بما قاله ممدوح، وافق على ترك نالين في المشفى، حتى تستعيد صحتها جيدًا، وأزال من فكره أن يتم إجهاضها لكنه لم يتركها بل ظل في المشفى معها، لا يجتمع بها ولا يقابلها، يطمئن عليها من خلال شباك زجاجي أو من خلال الطبيب ممدوح.

مرت الثلاث ليال على نالين دون أن يحادثها والدها ولو بكلمة واحدة ، استطاعت أن تفيق وتستعيد قواها بعض الشيء، سمح لها ممدوح بالمغادرة هي ومهاب إلى القصر، وأخبرهما أنه سيتابع حالتها في قصرها كل يوم.

وصلت نالين إلى القصر صعدت إلى حجرتها تستند على خادمتها السمراء الممتلئة الجسد هند ودلف مهاب إلى مكتبه وحيدًا بدأ يستجمع قواه من جديد، حاول عقله أن يستعيد توازنه، استرجع كل كلمات ممدوح.

ابنتك حامل، غشاء بكارتها سليم، تقول إنها لم يمسسها بشر، لا بد أن في الأمر سرًا أو جريمة أو فعلًا آخر لا يعلمه غير خالق الإنس والجن.

مهاب يوقن أن كل النساء عاهرات؛ يحاولن أن يخدعن الرجال بأجسادهن؛ حتى يحصلن على ما يردن، سواء مال، سلطة أو حتى الأمان الدنيوي؛ حقًا نالين أنثى لكن مهاب نزع منها العهر منذ صغرها، حاول كل الشباب أجملهم وأقواهم وأقدرهم على الحديث المعسول معها ولم يستطيعوا أن يحركوا قطرة من دماء قلبها فكيف تفعل ذلك؟!

أمر يكاد يكون مستحيلًا على عقل مهاب أن يتقبله؛ إذن هناك جريمة حدثت بالفعل، هذا ما توصل إليه عقل مهاب بعدما قضى النهار بطوله يفكر بمكتبه دون أن يسمح لأحد أن يقطع عليه تفكيره، حتى الخدم لم يسمح لهم بالدخول عليه، لم يرتشف ولو فنجانًا من قهوته باهظة الثمن، ترك قهوته؛ لأن ما به الآن بعيدًا كل البعد عن التظاهر بالجاه والمال أو السلطة؛ ما هو فيه الآن قضية تحدث في كل الأزمنة، وكل العصور وبين كل الطبقات، عندما يعلم الأب بأنه فشل في تربية ابنته لكنه لم يتقبل الفشل، أصر على أن هناك جريمة، وأن هناك دخيل على ابنته.

في المساء بعدما استفاقت نالين دخل مهاب إلى حجرتها؛ كي يطمئن عليها، فلم يحادثها في الأمر بعد.

نالين مستلقية على سريرها تبكي بكاءً مكتومًا لا يظهر منه غير دموع عينيها الزرقاوين، بجوارها جدتها التي صعدت إلى حجرتها بمصعد القصر، وعلى الجانب الآخر الخادمة هند تحاولان معها، يتحثانها على أن تتناول ولو القليل من العصائر المحببة إليها، تستفسران من مهاب عن حالها وما ألم بها، ولِمَ كل هذا البكاء؟

كل هذا الألم الذي شاهدته الجدة؛ جعلها تسأل مهاب مجددًا:

- ماذا حل بوردتي يا مهاب؟ لِمَ كل هذا البكاء؟ هل أصابها المرض اللعين؟

- عن أي مرض تتحدثين يا أماه؟! إنها بخير لا تقلقي.

تحدثت هند... تجرأت وخرج من فمها سؤالًا عن أمر خاص بعائلة مهاب، لم تجرؤ طوال سنواتها التي قضتها في القصر أن تسأل مهاب سؤالًا واحدًا عن أي أمر يخص العائلة؛ بسبب معاملته القاسية، حاولت أن تسأله:

- سيدي إنها على تلك الحال منذ عودتكما صباحًا، لا تأكل، ولا تشرب، ولا تتحدث، صمت تام حتى البكاء، تبكي بلا صوت، سيل من الدمع أغرق وسادتها بلا صوت، ما بها سيدي أرجوك أجبنا!

نظر مهاب إلى الخادمة ولم يراجعها أو يعنفها كما في السابق، فهذه هي المرة الأولى التي يسمح لها بأن تتحدث بأكثر من خمس كلمات دون أن تسمع منه السباب والشتائم، تركها تتحدث لعل في حديثها أمر يهون به على نفسه أو على ابنته، لكنه عاد بلطف يخبرهم:

- لا تقلقوا هي بخير، لكن أود منكم أن تتركونا بمفردنا قليلًا أود أن استعيد ابنتي.

نظرت إليه الجدة بصوت فيه استهجان لحديث مهاب تخبره:

- ابنتك دائمًا موجودة، لكنك لابد أن تستعيد نفسك مجددًا؛ حتى تعود إليك ابنتك من جديد.

- أماه أرجوكِ ليس هذا وقتًا لذلك الهراء.

نظر إلى هند بعينيه البارزتين، وبصوت منفعل جعل جسد نالين يرتعش قليلا:

- انصرفي أنت ونفيسة من هنا حالًا، ولا أريد أن يحضر أحد في هذا الطابق على الإطلاق.

امسكت هند مقبض كرسي الجدة وحاولت أن تدفعه خارجا لكن قواها خرت فدفعتها ببطئ وعينها تطالع نالين ووجها الذي بدا شاحبًا مما جعل الدمع يزداد في عين هند والجدة حزنًا عليها.

اقترب مهاب من نالين على فراشها ينظر لعينيها الذابلتين من كثرة الدموع، وضع يده على خدها، فوجد نالين ترتجف قليلًا كلما اقتربت يده من وجهها، وعيناها تطالع يده، ظنت أن اليد التي كانت تحنو عليها وتلبي كل رغباتها المادية ستعنفها، ستصفعها اليوم...

بهدوء تام وضع مهاب يده على خدها ومسح الدمع من عينيها، زرفت عينيها مزيدًا من الدمع، أفرغت كل الدمع الكائن بهما، بكى مهاب بكاءً مسموعًا، زرفت عيناه الدمع حزنًا على ابنته، بكى هذا الرجل وهو الذي لم يبك يومًا لأي سبب ما....

بدا وكأنه أخذ الدمع منها كي لا يؤلمها، وضعه في عينيه مما أدخل الطمأنينة قليلًا في قلبها، هدأت رعشتها؛ وقامت لترتمي بأحضان والدها، وبكت بحرقة وبصوت مسموع لتقول:

- أبي أرجوك صدقني لست بعاهرة، لم أبع جسدي.

- أصدقك يا ابنتي، وأصدق كلماتك كلها، أنت روحي، فهل من الممكن أن يُكَّذب الإنسان روحه!

- لكن يا أبي ما هذا الهراء الذي تحدث به ممدوح، إنه لكاذب.

-اهدئي يا فلذة كبدي، بالتأكيد هناك خطأ ما، لكن ممدوح ليس بطبيب صغير، اسمعي أود أن اقترح عليك اقتراح جميل.

- ما هو يا أبي؟ أنا معك في أي شيء.

- ما رأيك يا صغيرتي إن كررنا الفحوص مرة أخرى في مكان آخر.

- فكرة جيدة يا أبي في مكان أكبر، في أفضل مكان بمصر، بل في أوروبا نفسها.

- نفعل ذلك غدًا كي نطمئن، ونكذب ممدوح المدعي!

-أشكرك يا أبي لأنك صدقتني، وغدًا تظهر الحقيقة.

نامت نالين في هدوء تام بعدما أيقنت أن والدها يصدقها، نامت الصباح كله والليل كله، يبدو بأن النوم كان هروبًا من كثرة تفكيرها، أو هروبًا من مصيبتها، على العكس من مهاب لم تذق عيناه النوم لا في الصباح ولا في المساء، بل ظل على حاله في مكتبه، يفكر في كل شخص بينهما عداوة يسترجع كل ماضيه الآن.

في صباح اليوم التالي استعد كل من مهاب ونالين للذهاب إلى المشفى؛ لتكرار الفحوص نفسها لعل ممدوح يكون مخطئًا، ولعلها المرة الأولى التي يود فيها مهاب أن يكون ممدوح مخطئًا على الرغم من صداقتهما التي امتدت لخمسة وعشرين عامًا، كان ممدوح بالنسبة لمهاب نعم الأخ الصادق الصدوق.

وصل مهاب ونالين إلى المستشفى؛ وقاما بإجراء الفحوص نفسها مرة أخرى استمرت قرابة الخمس ساعات، اجتمع الأطباء كل في مجاله، نساء، تحاليل، أشعة.... وغيرها، اجتمعوا مع مهاب أكثر من مرة، وفي كل مرة كان مهاب يظهر أنه لا يعلم شيئًا، يحاول أن يخفي عليهم تقارير ممدوح، بدأ مهاب رويدًا يصرح بكل شيء، بعدما أيقن من خلال كل التقارير التي قدمت له في هذا المستشفى أنها لا تختلف بأي شيء عن سابقتها مع الطبيب ممدوح، وأن ممدوح صادق لا يكذب!

عاد مهاب إلى القصر ومعه ابنته يجران الخيبة وراءهما، كل منهما عقله في صراع من التخبط، لا يعلمان إلى أي مدى ستسوء الأمور...

من جديد اقترح مهاب على نالين بأنه يجب التخلص من الجنين، ومن ثم معالجة الأمر كأنه لم يكن، ففاجأته بقولها:

- أبي أنت تتحدث عن جزء من جسدي، إن هذا الكائن في أحشائي لا يختلف عن أي عضو آخر بي، كعيني أو قلبي، صحيح أنني لا أعلم من أين أتى، ومن السبب فيه، أو من هو والده، كل ذلك لا يهمني ولا يعنيني، ما يعنيني حقًا أنه ملكي، وأنا أمه، إن كنت تريد مساعدتي أخبرني من هو والده

- لكنه ابن زنا ابن حرام هل تريدين أن ينعت ابنك بذلك عندما يكبر؟

- من قال إن أحدًا سينعته، أو سيقترب منه! ما بك يا أبي هل لازلت تعيش في قاع ذلك المجتمع الشرقي، لا تقلق يا أبي سنعيش في أمريكا أنا وهو فقط ولا أريد والده في حياتي بعد ذلك، فقط أريد أن أعلم من يكون والده، سواء كان إنسيًا أم جنيًا.

- لا تقلقي صغيرتي سأعلم عاجلًا أم آجلا من هو والده سواء كان من الإنس أم من الجن، وعندها سيعلق على باب القصر، ينزف دمًا حتي تفارق روحه جسده.

صعدت نالين إلى حجرتها تنتظر وعد أبيها لها، ودخل مهاب إلي مكتبه؛ كي يتصل بالطبيب ممدوح؛ ليطلب منه الحضور إلى القصر كي يناقشه في التقارير الجديدة؛ لم ينزعج ممدوح لأن مهاب لم يصدقه وذهب إلى مشفى آخر، بل استجاب على الفور فكلاهما يعتقد أن هناك لغزًا ويريدان معرفته؛ الكل يصدق نالين ولا أحد يكذبها، الكل بدا عليه علامات التعجب يبدو بأنهما أمام جريمة أو معجزة أخرى.

لم تمر الساعة حتى حضر ممدوح إلى القصر، دلف الاثنان إلى حجرة المكتب يتشاوران في الأمر، كل منهما يُدلي بدلوه لعلهما يجدان مخرجًا لهذا الأمر.

تحدث ممدوح إلى مهاب يخبره:

لو أن نالين صادقة، ولم يمسسها رجل، وبناء على كل تلك التقارير؛ فإنني أعتقد أن هناك جريمة أُرتُكبت في حقها، وفي تلك الحالة لا بد من إبلاغ الشرطة.

انزعج مهاب مما سمع بل إنه عنف الطبيب قائلًا:

- بالطبع هي صادقة، إنها ابنتي وأنا أعرفها جيدًا؛ لكن جريمة؟! كيف هذا وما علاقة الجرائم بالجنين الكائن في أحشائها؟

- من الممكن أن يحدث الحمل والغشاء لم يتهتك كليا وهذا يحدث كثيرًا ويتم اكتشافه عند الولادة ويكون الأمر طبيعيًا ولا ضير فيه أما ما أتحدث عنه الآن هو غشاء سليم ومن الجائز حدوث حمل لكن دون إيلاج كامل أي دون علاقة جنسية فاعتقادي أن هناك شخص قام بقذف منيه في فرجها دون أن تدري فلربما كانت تحت تأثير مخدر ما وسمحت الثقوب التي في الغشاء والتي تسمح بمرور دماء الحيض بالخروج بدخول ماء الرجل إلى رحمها ومن ثم حدوث الحمل هذا أمر قد يكون مستحيلًا لكنه من الممكن أن يحدث ولا أجد في عقلي تفسيرًا غير ذلك!

- لا أفهم أي شيء مما تقول يا ممدوح كل ما أفهمه أن هناك شخصًا ارتكب تلك الجريمة في حق ابنتي ولابد من الانتقام منه.

- إذن سنبلغ الشرطة.

- وكيف سنبلغ الشرطة؟ هل جننت!! إننا بذلك نقوم بفضح أنفسنا للناس!

- اهدأ يا أخي في حالة الجرائم لابد من طلب الشرطة كيف لعذراء أن تحمل.. إنها ليست مريم؟ وأنا على يقين بصدقها، بأنه لم يمسسها بشر، فكيف يمسسها بشر وتحمل منه وغشاؤها سليم لم يمس، كما أنه من النوع الطبيعي بل الحساس جدًا.

- أعلم ذلك يا ممدوح لكن كيف؟ واسمي واسم ابنتي سيكونان مثار جدل للناس! كيف سأبلغ الشرطة؟!!

- أخي أنا أعلم أن الأمر لابد أن يكون سرًا ولا مجال لإذاعته.

- إذن أخبرني كيف ستعالج الأمر؟

بصوت هادئ بعدما جلس ممدوح على كرسيه، وحرك نظارته، أخبر مهابًا عمن سيقوم بحل اللغز حيث قال:

- الضابط عادل.

سأله مهاب:

- من هو عادل؟

أجاب الطبيب:

- ابن صديق مقرب لي ضابط مباحث كبير، سيقوم بمتابعة الأمر شخصيًا خارج إطار وزارة الداخلية.

-آها.. أعلم من هو عادل، أليس ذلك الضابط الذي دائمًا ما يساعدنا في إتمام بعض الإجراءات، لكن هل تثق في ولائه؟

- بالطبع أثق.... إنها ابنتي قبل أن تكون ابنتك.

-لا تقلق سأدفع نصف ثروتي حتى أعرف من فعل بها هذا.

-لا تقلق لن تدفع شيئًا، عادل سيقوم بكل شيء، لكن أريد أن أخبرك شيئا قبل أن أنصرف، أرجو منك أن تراقب نالين جيدًا، وأن تحاول أن تمنعها من تناول الكحوليات والمخدرات، فهناك جنين في أحشائها، ولا نريد أن نخسره؛ لأن خسارته جريمة يحاسب عليها الله قبل القانون.

صدمة أخرى هوت على رأس مهاب، أتت على مسامعه كالصاعقة، قالها الطبيب، نالين مدمنة خمر ومخدرات، يبدو أن المصائب لا تأتي فرادًا.

غادر ممدوح المكتب بعدما تخطت الساعة منتصف الليل، غادر وترك مهاب يعاني وحيدًا من هول ما سمع. وأثناء مغادرته وقبل أن يصل إلى باب القصر؛ فوجئ بالعروس لاوجا واقفةً في بهو القصر بمفردها وبيدها حقيبة سفرها، بدت عليه علامات الدهشة، فلم يمر على الزفاف إلا أسبوع وعادت من سفرها، بل زاد من حيرته عندما وجد بيدها حقيبة ملابسها، وأنها بمفردها دون زوجها.

نظرت لاوجا إلى الطبيب ثم سلمت عليه، تحاول أن تبعد استفهاماته التي برزت في عينيه من خلف نظارته، لتسأله عن حالة أختها:

كيف حال نالين أيها الطبيب؟ ماذا أصابها؟!

نظر ممدوح إليها بعدما زالت علامات التعجب من على وجهه، بعدما شغلته لاوجا بحال نالين:

- هي بخير لا تقلقي عزيزتي، ووالدك بخير إنه إجهاد الزفاف فقط، وبمرور الوقت ستتحسن، هل أنت بخير وزوجك على ما يرام؟

- بالتأكيد نحن على ما يرام، لا زلنا في شهر العسل لا تقلق أيها الطبيب.

قلق ممزوج بابتسامة خفيفة بدا على وجه لاوجا بعدما سمعت أن أختها ستحتاج مزيدًا من الوقت كي تتعافي.

سألها الطبيب مرة ثانية بعدما عاد إليه مرة أخرى الاندهاش من تواجدها بمفردها:

- لكن أين زوجك؟ ولماذا عدتِ؟ ما بكِ؟

ولم وجهك شاحبًا وهكذا؟ هل هناك أمر ما!! خبريني يا ابنتي؟!

ابتسمت لاوجا ابتسامة خفيفة لتخبره:

- أعلم أنك مثل أبي، لكن أعلم أيضًا أنك طبيب ولست شرطيًا.. لا شيء حدث، قلت لك لا زلنا في شهر عسلنا، كل ما في الأمر أنني قلقت على حال نالين، فعدت ليومين، ومن ثم سنسافر إلى مكان آخر.

-أرجو أن يكون كل شيء بخير يا ابنتي، فوالدك قلق على نالين، ولا نريد أن نزيد من قلقه عليك أنت أيضًا.

- لا تقلق عمي ممدوح أنا بخير.

انصرف الطبيب بعدما أخبر لاوجا أن والدها بحجرة المكتب يجلس وحيدًا، حاولت لاوجا أن تتقدم باتجاه حجرة والدها تخبره بقدومها، لكنها عجزت أن تواجهه؛ لذا انصرفت لحجرة جدتها تجر

خلفها حقيبة سفرها الصغيرة، ذهبت لجدتها ولم تصعد إلى حجرتها أو إلى حجرة نالين بل لذلك الحضن لترتمي به.

الفصل الخامس

الواحدة بعد منتصف الليل، وقفت لاوجا أمام باب جدتها تستشعر حرجًا، تريد أن ترتمي بحضن جدتها، يبدو عليها القلق من السؤال عن حالها، ولماذا قدمت الآن في منتصف الليل دون زوجها، انتصرت على مخاوفها، وطرقت الباب، فتحت لها الجدة باب الحجرة الصغيرة بواسطة الريموت الخاص بالباب الكهربائي، حجرة صغيرة لا تتناسب مع ذلك القصر الكبير، ولا مع مكانة الجدة؛ فالحجرة لا تختلف كثيرًا عن حجرات الخدم، سريرها

الصغير في الجانب المواجه لباب الحجرة، تجلس الجدة عليه وتمسك مصحفها، تتلو آيات الذكر الحكيم بصوت خافت، تحاول أن تنطق حروفه بصورة صحيحة، لكنها لا تقدر فتصر مرة بعد أخرى؛ لتتلو الآية أكثر من مرة، تحاول القراءة الصحيحة، ولكنها لا تعرف، ولكنها تصر على القراءة.

تحاول أن تتعلق بحبل الله ولو قليلًا، بعدما قضت حياتها بعيدة عنه؛ تلهيها الدنيا ومشاغلها؛ لأنها تعلم أن حبل الله موصول حتى تطلع الشمس من مغربها، ينقصها فقط التشبث به والمثابرة على الوصول إليه.

تقدمت إليها لاوجا بعدما وجدت جدتها فاتحة ذراعيها، تدعوها للانضمام إلى أحضانها بعدما اشتاقت إليها كثيرًا.

لاوجا ذات الرابعة والعشرين من العمر، بطول قامتها التي تخطت المائة والسبعين سنتيمتر، ووزنها الذي لم يتعدَ الستين كيلو جرامًا، مما جعلها رشيقة تقترب من النحافة، فعشقها لباريس وبرج إيفل جعل قامتها ترتفع لتعانق سحاب الجمال الفرنسي الأنيق، بلونها الخمري الجميل، وعشقها للبحر ورماله وشمسه الحارقة، الذين اكسبوها لونًا برونزيًا مميزًا عُرفت به، مما جعل الجميع يناديها باسم سيدة الرمال، هدوء في ملامحها، وكأنها بحر هادئ في ليلة مقمرة، عيناها العسليتان على خلاف لون عين أختها وجدتها الزرقاوين؛ ومما زاد من جمال وجهها ونضارته ملامحها المصرية الهادئة الجميلة.

اسرعت لاوجا لترتمي بأحضان جدتها كالطفلة الصغيرة، تبكي بصوت مكتوم وجسد ينتفض كالماء المغلي.

فزعت الجدة من انتفاض جسد حفيدتها وبكائها، حاولت أن تستفسر منها، أو أن تفهم ما بها، حاولت أن تجعل لاوجا تتحدث لكن نحيب صوتها جعل الكلمات تقف في فمها، ولا تستطيع أن تتلفظ ولو بحرف واحد، بكت الجدة على بكاء حفيدتها، شعر قلبها أن لاوجا في مأزق كبير، وتريد أن تستعيد نفسها، احتضنتها بقوة وداعبت رأسها، حاولت أن تطرد الألم من أنفاسها، لكن قلب الأم ازداد قلقًا عليها، عاودت الجدة السؤال مجددًا:

- ما بكِ! ماذا أصابكِ! وأين زوجك؟ هل هو بالداخل مع أبيك في مكتبه؟

سمعت لاوجا كلمة أبيك فاستفاقت من شرودها، فكلمة أبي أعادتها مرة أخرى إلى الواقع، بعدما منح حضن جدتها برهة للهروب من حالتها الرثة:

- لا جدتي فالمدعو زوجي لم يأت معي، قام بتوصيلي إلى الفيلا ثم تركني عائدًا إلى أمه.

- أمه؟! وهل علم والدك بوجودك؟

- لا جدتي لا أحد يعلم أنني هنا غيرك، أنت والطبيب فقط، فلم أستطع أن أدخل إلى والدي أحادثه في أمري، كل ما كنت أود معرفته هو حال أختي، وقد أخبرني الطبيب أنها بخير.

- لا تقلقي لاوجا فأنا أعلم ما بكِ قبل أن تتحدث شفتاكِ.

- حقًا جدتي، هل حقًا هناك من يشعر بما في داخلي دون أن أحكي.

- نعم يا قرة عيني، أنت زهرتي وسبب من أسباب التمسك بالحياة في كنف أبيك، ما بك حفيدتي ما سبب بكائك؟!

- سبب بكائي؟ تسألين عن سبب بكائي ألا تعرفين حقًا يا جدتي.

أعلم يا قرة عيني، أعلم أن أباك باعك لكلب حقير، أعلم أنك ككل ليلة تنزفين قطرات دم من قلبك تحرك خلايا جسدك.

- حقًا يا جدتي شعرت كثيرًا أنني جارية تباع وتشترى في زمننا هذا، آه لو تعلمين ما أنا فيه.

- تحدثي لاوجا وأخرجي ما بقلبك، سأسمعك.

- حقًا جدتي أعلم أنكِ منصتة جيدة، ولكن ليس بيدك أو بيدي أي شيء.

- هل لي بسؤالكِ سؤالًا.

- تفضلي جدتي.

- هل الزواج ممن أحببتِ أفضل؟ أم الزواج من هذا المدعو زوجكِ؟

- جدتي ماذا تقولين، تتحدثين وكأنني تزوجت من عماد.

- أنا لم أقل إنك تزوجته، إنه حبيبك السابق، وأنا أعلم أنك تمنيته زوجًا، وبالتأكيد خيالك صور لك أنك زوجته.

- جدتي أنت لا تعرفين شيئًا عن عماد، لم تشاهده عيناك أو شعر به قلبك.

ابتسمت الجدة ابتسامة خفيفة لتخبر لاوجا:

- وهل لي أن أشاهد شخصًا بعيني وقلبي فقط، إن أردت أن أعرف شخصًا ستشاهده عيني، وتسمع أذني كلماته قبل همسه،

ويشعر به قلبي، ومن ثم سينطق عقلي قبل لساني حتى أحكم عليه جيدًا...

اعتدلت لاوجا وتركت حضن جدتها بعدما شعرت بالأمان، وبأن جدتها ليس لديها مانع في أن تعرف كل شيء عن عماد حبيبها السابق، ابتسمت في وجه جدتها، وحاولت أن تشاركها سعادتها، فقالت لها:

- جدتي هل لي أن أجعلك تقابلين عماد حتى تشعري بما بداخلي؛ ليكون حكمك عليه منصفًا؟

- وكيف يا قطتي الصغيرة، هل ستحضرينه إليّ هنا الآن؟!

- أجل سأحضره إليك هنا أمامك بكلامي وشغفي به، وشوقي الكائن في صدري له؛ سيجعل لساني ينطق بكل تفاصيله، مما سيشعرك بوجوده مجسدًا أمامك، أنا أعلم ذلك، وأنا واثقة في أن قلبي سيفعل ذلك.

- إذن اجعلي قلبكِ ينطق؛ وسيستمع إليه قلبي قبل عقلي، فمثل ذلك الوصف يحتاج للقلب قبل العقل.

- سأحكي جدتي سأحكي كل شيء.

بدأت لاوجا تسترسل في الحديث مع جدتها، تحكي لها عن حبيبها السابق عماد، حكت لها عن كل شيء.

كان فتى بارعًا في كل شيء يا جدتي، طويل القامة، نحيل الجسد بعض الشيء، أسمر اللون وإن كان بوجهه لمعان طفيف، يُضفي بريقًا يجذب النظر إليه بعينيه العسليتين، وعظام وجهه التي تناسقت بشكل هندسي فريد، جعلت من فمه الصغير بشفاهه الوردية

مطمعًا بل فتنة لكل فتاة تعشق الرجل الشرقي، عيناه التي امتزج لونها العسلي بالأسود بحدقتيه الواسعتين؛ جعلت من عينيه أداة تستأثر قلوب النساء، فالناظر إليهما يشعر بأن تلك العين تجذبه بشدة، تخبره أحاديث لا تفهمها إلا عين لم تذق طعم الحنين لسنوات.

أطل عليَّ بوجهه الوسيم أول مرة في العام قبل الأخير بمدرستنا الدولية الثانوية، كان قد التحق بها بعدما أنهى والده كل أعماله في دولة جنوب إفريقيا وقرر الاستقرار في مصر وأنشأ إمبراطورية خاصة به.

كان بريق عين عماد يداعب نظراتي إليه، نعم نظرت إليه كثيرًا لكن لا أدري لِم، فعندما أشاهده مارًا بجواري تسرح عيني في خطواته، في طول قامته، يتهاوى نظري لأعلى لا أعلم كيف حتى تصل عيني إلى عينيه، فمن أول مرة وقعت عيناه على عيني أحسست بشيء غريب تجاهي، كأنها تريد أن تحتضنني، أحسست بعينه بل سمعتها حقا تقول له: اذهب إليها أسرع مد الخطى، واحتضنها فهي محبوبتك لا أكذب جدتي، لقد سمعت عينيه حقًا.

كان أول حديث بيننا في مكتبة المدرسة، كنت أبحث عن أحد الكتب المطلوب مراجعتها للقيام ببحث يخص الدراسة، وبالفعل وجدت الكتاب لكن الكارثة أن الكتاب كان من أربعة أجزاء، كل جزء لا يقل عن خمسمائة صفحة، تنهدت وأصابني الإحباط من منظر الكتب، كان عماد حاضرًا بالقرب مني وسمع تنهداتي، ألم أقل لك جدتي أني أسمع عينيه؛ لذا نظر بعينيي فوجد فيهما الإحباط والألم؛ أمسك الكتاب من يدي ثم أخبرني.

- إن كنتِ تبحثين عن أحد المراجع التي تفييدك في بحثك؛ فأنت الآن أمام معضلة كبرى بوصولك إلى هنا.

سمعت أذناي كلامه جيدًا، بل سمعه قلبي قبلهما، وعندها حاولت شفتاي أن تنطق وتتحدث، ففوجئت بأصابعه وقد وضعها على شفاهي بغتةً، فلم أمنعه أو أنهره على ذلك الفعل، بل استمتعت بهما ولا أكذب إن قلت إنني حركت شفاهي كي تُقبّلهما، فواصل حديثه ليقول:

هناك على الجانب الآخر من الرف يوجد كتاب لا تتعدى صفحاته الثلاثمائة صفحة، وبه ملخص وافر للأربعة أجزاء.

قال تلك الكلمات وانصرف من أمامي، وهو لا يدري ماذا فعل إصبعه الذي أخذ من فمي قبلة خفية، وضعت بها شهد فمي عليه علّه يتذكرني ولو للحظات.

في صباح اليوم التالي تتبعته في كل مكان يذهب إليه، حتى إنه شعر بأنفاسي تراقبه، وبنظراتي إليه، كنت أترقب منه ولو نظرة واحدة، بالفعل فعلها وأعطاني نظرة خفيفة مع ابتسامة جميلة رُسمَت على شفتيه، سرت في دمائي، بل في كل شراييني وأوردتي، فلم تترك أي خلية بجسدي إلا احتلته؛ جعلت عيني تتوارى خجلاً من كل البشر، جعلت قدماي تهرول بعيدًا، تنعزل عن كل مَنْ في المكان، إلى حجرة صغيرة خاصة بتجهيزات المعامل الكيميائية بالمدرسة، لقد اعتدت الذهاب إليها؛ إما لتجهيز بعض التجارب - فكما تعلمين أنني كنت أود أن أصبح عالمة- وأحيانًا أذهب للانفراد بنفسي قليلًا بعيدًا عن الجميع.

ذهبت إلى المعمل وجلست ووضعت يدي على وجهي، وظللت أحلم به لا أريد أن ترى عيناي أي شيء آخر اليوم غير ابتسامته الساحرة، وما هي إلا لحظات حتى فتح الباب؛ ووجدته واقفًا أمامي بابتسامته التي قتلتني منذ لحظات، لم أدرِ ما يحدث، هل أحلم!! هل

لا زالت عيناي مغمضة، إنها ليست مغمضة إنه أمامي حقًا بجسده، بعينه، بشفاهه التي عشقتها، لم تتحرك شفاهه للحديث، بل تحركت تلك الشفاه؛ لتطبق على شفتي؛ فتمسكهما عنوة؛ فارتعشت شفتاي عندما كانت تحادث شفتيه، سرت الرعشة في جميع أوصالي، في خلايا جسدي حتى وصلت إلى أظافري، إلى شعر رأسي.

كان يسحب شفاهي إلى أعلى، ليس لطول قامته بل كان يسحب روحي للسماء معه، استمررت أعانق السحاب لمدة قاربت الخمس دقائق شعرت بعدها أن عمري امتد لعشرات السنين، لكنه تركني، ترك شفاهي بمفردها، تركني في المعمل ولم يتحدث ولم ينطق ولو كلمة واحدة، أغلق الباب وراءه، بل فصل تيار الحب عن جسدي، فعاد جسدي إلى طبيعته لكن بعد ساعة أو يزيد.

ارتعش جسد الجدة قليلًا عندما أخبرتها لاوجا بقُبلة حبيبها بدأت الظنون تسري بعقلها لكنها لم تقاطع حديث حفيدتها بل جعلتها تسترسل شيئًا فشيئًا لعلها تجيب عن تلك الظنون التي دخلت بعقلها.

عماد يا جدتي شاب غامض أثار إعجاب وتساؤلات الكثير من فتيات المدرسة، ولا أكذب إن قلت أيضًا إن هناك من المعلمات من كن مفتونات به؛ بسبب غموضه المريب وثقته العالية التي قد تصل إلى حد الغرور، وكذلك حدة طباعه وصرامته، بالإضافة إلى ثقافته الواسعة، كل تلك الإغراءات، وكل تلك الفتيات لم يحركن شعرة واحدة من جسده، لم يُبد إعجابه ولو بواحدة منهن، لم ينظر إلى أي منهن نظرة إعجاب أو حتى تقبل، بل كل نظراته لهن نفور وبُغض، أنا فقط من نظر إليها، أنا مَنْ هواها، أنا مَنْ قبلها في فمها، أنا فقط من أعطاها قلبه قبل عقله، وهذا ما أسعدني كثيرًا؛ لأنني لن أعاني من الغيرة؛ فسيكون لي أنا إلى الأبد، ولِمَ لا!! فلقد اختارني واخترته.

في اليوم التالي لتلك القبلة التي رسمت طريقنا للحب؛ بدأ الحديث معي، لم أكن أتخيل أن هناك رجلًا بتلك العقلية، إن سُئل عن السياسة يُجيب، في الدين يُجيب، في علم النفس يُجيب، التاريخ.. العلوم.. الفضاء... حتى المكياج، حتى الموضة، لا شيء أسأل عنه إلا وأجاب، بنى إمبراطورية داخل قلبي، إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، ووقف حارسًا عليها مؤمنًا لها، أه يا جدتي لو تعلمين، لقد انجرفنا إلى جو الحب الملتهب، اعترف لي بحبه، أخبرني أني استطعت أن انزع ما في قلبه من قسوة تجاه النساء، وأن قلبه مُهيأ تمامًا إلى قدوم الملكة لتسكن قلبه، وإن سكنت قلبه فإن خلايا جسده.. بل كل حرف ينطق به لسانه سأكون أميرة، فلا حدود لي في مملكة قلبه، حتى أنفاسه ملك لي، ولن يشاركني أحد أبدًا.

غمرتني السعادة وكأنني ريشة تتطاير على أمواج البحر، لم يُعكر صفو تلك السعادة غير نضال، ذلك المدعو زوجي الآن، وضعه والدي حارسًا على أنفاسي، فكما تعلمين أنه زميل لنا على الرغم من أنه يكبرني سنًا، وذلك بسبب رسوبه، وإن كنت أعتقد أنه كان يرسب كي يلاحقني في المدرسة، وكي لا أغادر سطوته.

نضال شاب متعجرف غبي متطفل لا أعتقد أنه يحبني أو يعرف معني كلمة حب، كان يمارس سطوته عليّ، قام بفعل كل شيء كي يحصل عليّ، كي يمتلكني؛ حتى يمتلك أموال أبي وشركاته، لا يغرنك غيرته الشديدة عليّ أو كلامه المعسول أمام أبي وأمامك في بعض الأوقات؛ فكل تلك الكلمات ما كانت إلا جزءًا من خطته لتملكي، أبلغت عنه الأمن أكثر من مرة دون جدوى؛ لأنه أخبر الأمن أنه ابن عمي، كما أخبرهم أبي بأن نضال ما هو إلا ملاكي الحارس، حقًا صدقت كلمة إن الشيطان كان ملاكًا، فها هو نضال شيطان أمامي ملاك أمام أبي.

قاطعت الجدة حديث لاوجا متحيرة من أمرها لتقول:

- كان بينكما كل هذا الحب؛ ولم يطرق بابك كيف؟!

ابتسمت لاوجا ابتسامة خفيفة أظهرت بها بعض أسنانها لتخبر جدتها:

- ليس له الحق في أن يطرق بابي جدتي.

انزعجت الجدة وبدت على وجهها الحيرة، أطلقت حيرتها لتسأل حفيدتها:

- لاوجا حفيدتي ألا تعلمين أنني كنت فتاة جميلة، وكان يتسابق على محادثتي مئات الشباب

- أعلم ذلك جدتي، وأعلم أيضًا أن طيبة قلبك هي من أوقعتك في جدي.

- ما أقصده لاوجا أنني أعلم أن مَنْ يُحب يسع جاهدًا لامتلاك من أحب، يحاول على الأقل، يحاول أن يذهب إلى والدك، ويحادثه لربما قَبِلَ، أو رفض، لكن عليه أن يلتزم بما عهد إليك، إن الحب عهد بين اثنين لابد من إتمامه بالزواج.

- بالتأكيد جدتي، لكن هناك أمرًا حاجزًا بيني وبين عماد، حاجز أقوى من البشر، قوانين فُرضت على قلبينا، أتعلمين لو أنني حرة نفسي، ولا قيد عليه؛ كنت تزوجته، لكن هناك قيودًا كانت تمنع أن نعلن عن هذا الحب، فما بالك من الزواج.

- لا أفهمك.. تقولين إن هناك قوانين تمنعكما، ولو أنت حرة نفسك كنت تزوجته، كيف!! وما هي تلك القوانين؟!!

- لا تشغلي بالك جدتي، إنه لأمر غريب مريب.

- لاوجا لقد أعطيتيه شفتاك وقلبك وروحك، هل أعطيته جسدك؟

- هل تعتقدين جدتي أنه لو حدث ذلك؛ ستتقبلين مني أن أخبرك به؟!

انفعلت الجدة واحمر وجهها، بدا عليها الغضب والنفور، أبعدت لاوجا عنها بيدها، نفرت منها، كان جوابها يحتمل قول نعم أكثر من قول لا، لم تتحدث الجدة بل عبرت عن النار التي اشتعلت داخلها من جواب لاوجا.

حاولت لاوجا أن تهدئ من تلك النار؛ احتضنت جدتها مجددًا وقبلت رأسها:

- جدتي لم يحصل على جسدي، أنا أعلم أنني لو أعطيت جسدي لرجل دون زواج؛ فسيكون وبالًا على أبي، لا تخافي فأبي أمامي دائمًا وأنا احترمه.

- لاوجا ابنتي كنت أعتقد أن الله هو من وضعتيه أمامك دائمًا وليس مهاب، ابنتي عودي إلى صوابك، عودي إلى رشدك.

- لا تقلقي لن أفعل ما يغضب أبي سواء كان الله أمامي أو لا، فلا تقلقي.

الفصل السادس

مر الليل على قصر مهاب، لا صوت يعلو على صوت الليل الحزين بسواد لونه، وطول ساعاته.

نالين نائمة في فراشها أصيبت بانهيار عصبي لا تعلم ماذا حل بها، ومن أين أتى ذلك الجنين، ترعاها خادمتها المطيعة هند، تسهر دائمًا على راحتها؛ فهي تعتبرها بمثابة ابنتها.

لاوجا نائمة في أحضان جدتها تستمتع ببضع لحظات الأمان التي حُرمت منه كثيرًا، تحاول أن تستعيد كيانها، تفكر في حالها، في نضال، وحبيبها السابق، تفكر كيف ستواجه والدها في الصباح عندما يعلم أنها نامت الليلة الفائتة في أحضان جدتها بعيدًا عن زوجها.

أما الجدة فلم تستطع النوم بسبب قلقها على مَنْ في أحضانها، وأيضًا قلقها على التي تبعد قليلًا عن حضنها نالين، لكن الجدة تعتقد أن مصيبة ستحدث، يبدو بأن البيت مقدم على الاشتعال.

كل ذلك لا يضاهي الحرب المشتعلة بعقل مهاب، لم يذق طعمًا للنوم؛ فطوال الليل لم يكف عقله ولو لدقيقة واحدة عن التفكير، صراع ينشب برأسه: هل نالين كاذبة؟!! هل هي عاهرة؟ أباعت جسدها!! أم أن هناك شخصًا قد غرر بها؛ ومن ثم فعل فعلته وهرب، وهي تخشي أن يُفتضح أمرهُا، أو أن ينتقم مهاب منه، لكن إن كان كذلك فلِمَ غشاء بكارتها سليم.

بدأ عقله رويدًا يستوعب فكرة أن هناك جريمة أُرتُكِبت في حق ابنته، وأن هناك شخصًا ما قام بتخديرها؛ ومن ثم قذف ماءه في

فرجها؛ فحملت، وهذا جائز ومن الممكن حدوثه ولو كان بنسبة قليلة إلا أنه وارد كما أخبره الطبيب ممدوح، فلن يكون هناك سببًا آخر، فهي ليست بمريم العذراء، وهذا ليس زمننًا للمعجزات، لكن من يكون هذا الذي ارتكب الجريمة في حق ابنته؟!!

أعداء مهاب كُثر لا يُحصي لهم عددًا، فقد جمع ماله من طرق كثيرة، من صراعات عديدة وحروب دائمة مع منافسيه، حرب بلا رصاص، قتلى دون دماء.

اعتمد دائمًا على سحق منافسيه، على خراب تجارتهم؛ فكلهم أصابتهم - دائمًا - السكتة القلبية، أو الجلطة، الأمراض القاتلة، فلِمَ لا يكون من هؤلاء، أو من أبنائهم مَنْ فعل فعلته، مَنْ حاول أن ينتقم من مهاب مثلما كان مهاب يسحق خصومه.

خرج مهاب من مكتبه أخيرًا في الصباح بعدما قضى الليل به ساهرًا لم تغفُ عيناه ولو لدقيقة؛ ففوجئ بلاوجا واقفةً أمامه بملابسها الرقيقة، التي اعتادت أن ترتديها في البيت قبل الزواج؛ انزعج ووقف صامتًا لبرهة، شعر بأنه يحلم أو أنه يُخيل إليه بسبب عدم نومه منذ بضع ليال، وقبل أن تبدأ الأفكار في شل تفكيره مجددًا سألها:

- لاوجا؟ كيف ذلك؟ متى جئتِ؟ وأين زوجك؟

تقدمت لاوجا إلى أبيها تفرك أصابع يديها الاثنتين، يغتال الرعب أنفاسها:

_ أحضرني زوجي هنا بالأمس، وانصرف يا أبي.

اندهش الأب من إجابتها، وعاد يطرح مزيدًا من الأسئلة:

- انصرف دون أن يحادثني أو أراه؟! انصرف.. ولمَ جاء بك من الأساس؟!

-أبي لقد كان مشغولًا وتعبًا، وأراد أن يطمئن على والدته.

- والدته! ماذا تقولين؟! منذ متى ونضال يهتم بوالدته من الأساس!

أريد أن أعرف سبب قدومكما وقطع شهر العسل...الآن؟!

- لا شيء أبي، قلقت على أختي فقط بعدما سمعت من جدتي أنها مريضة.

- جدتك!

هل أنتِ على اتصال دائم بها وأنت في شهر العسل؟!

- أبي إنها جدتي، وهذه أختي، وقد جئت كي أطمئن، ولقد أخبرني الطبيب أمس بحالها.

جن جنون الأب عندما أخبرته لاوجا أن الطبيب أخبرها، بدأ عقله يدور، بدأت الأسئلة تطفو في عقله الغارق في مصيبة نالين.

اقترب منها ويده ترتعش؛ أمسك معصمها وضغط عليه بانفعال، همس في أذنها كي لا يسمعهما أحد:

- أخبرك بماذا؟! تحدثي ماذا قال لك؟

بدأ جسد لاوجا يرتعش من مسكة أبيها ومن همسه، شعرت بأن هناك شيئًا خطيرًا لا تعلمه.

- أبي إنك تؤلمني، أرجوك اترك معصمي.

تألمت لاوجا من مسكة يد أبيها التي لم تحدث من قبل، بل إن معصمها تورم واحمر كثيرًا.

لقد أخبرني الطبيب أنها وعكة صحية، وليس بها شيء، وأنها بخير يبدو أنها مرهقة بعض الشيء. عاد الهدوء مجددًا إلى وجه مهاب؛ حتى ارتخت ثنايات وجهه، وبدأ الارتياح والهدوء يظهران في ملامحه، فلم تكتشف لاوجا أمر أختها بعد.

خرجت الجدة من حجرتها بعدما سمعت صوت مهاب ولاوجا في بهو القصر، نظرت بعين لاوجا فوجدتها تزرف دمعًا، صرخت في وجه مهاب، عنفته فانفعل مهاب عليها هو الآخر، واحتدم الخلاف بينهما، وقبل أن يجرح الدمع وجه الجدة أتى صوت الخادمة هند هابطًا كقدمها المسرعة من أعلى؛ لتخبرهم أن نالين قد استيقظت، وأنها رحبت بتناول الإفطار معهم.

صعد الجميع إلى حجرة نالين؛ كي يطمئنوا عليها، يخبئ الجميع ما به من ألم في السؤال عن حالها.

أسرعت لاوجا وارتمت في أحضان نالين، أجهش الاثنتان بالبكاء حسرةً على واقعهما المؤلم.

جلس مهاب بجوارهما على الجانب الآخر، ووضع كلتا يديه على رأس ابنتيه وعينيه تترجيان نالين ألا تخبر أحدًا بما حل بها ولسانه يسألها عن حالها.

تحدثت نالين لتخبر الجميع:

- أنا بخير الآن لا تقلقوا.

رد عليها مهاب:

- نعم أنتِ بخير ولابد لك أن تكوني بخير، أنت الخير كله ولا خير في هذا البيت دونكِ حبيبتي.

ضحك الجميع حتى نالين تناست ما بها لتقول لهم:

- أضحكتني يا أبي بعدما أبكيتني.

استغرب الجميع من الكلمة فلا أحد يفهم مدلولها.

- أنا أبكيتكِ يا ابنتي؟!!

- لا أقصدك يا أبي.

- أعلم يا ابنتي قصدك، لكن لا تقلقي لا شيء حدث وأنت ليس لك من الأمر شيء، هذا خطأي وسأصلحه

حاولت لاوجا أن تستفسر عن ما بنالين؛ فنظرت للجدة، ولنالين ثم لأبيها يساورها القلق، تريد أن تعلم ما هو الأمر، الذي فعله مهاب لنالين وكان سببًا فيما ألم بها، لكن أحدًا لم ينطق، حتى عيونهما لم تخبراها بشيء، هل يخبراها أنهما يعتقدان أن نالين حامل، وهما يعتقدان أن سبب الحمل رجل أراد أن ينتقم من مهاب في ابنته، لكن عقل لاوجا لم يتوقف عن السؤال لذا نطق لسانها:

- عن أي خطأ تتحدثان أبي؟!

أجابها مهاب والغضب يملأ وجهه:

- لا دخل لك بهذا الأمر، إنها أختك تعاني من بعض الأشياء الغريبة؛ سببت لها انهيارًا عصبيًا وبعض الأفعال التي لم يفهمها الأطباء وسنعمل على حلها.

عندها تحدثت هند الخادمة لتشاركهم الحوار لتقول:

- يبدو بأن سيدتي نالين قد أصابها سحر ما، فهي جميلة وكانت فاتنة في حفل الزفاف، وجمالها لا يضاهيه شيء؛ فبالتأكيد قد أصابتها عين ما، أو سحر، ولابد من إحضار شيخ ليرقيها ويطرد تلك العين الآثمة.

صاح الأب غاضبًا فيها قائلًا:

- ما هذا أيتها الجاهلة، دجل وسحر وشعوذة هل جننت!!

تقدمت الجدة على كرسيها إلى مهاب لتخبره:

- ولم لا، ليس دجلًا، بل نأتي بشيخ كي يقرأ عليها القرآن، وإن كان بها خطب أو حسد أو مس من الجن سيتركها على الفور، ألا تعلم فضل القرآن بني؟!

فرحت الخادمة من حديث الجدة، فلقد وجدت من يوافق رأيها، فقالت:

- بالفعل سيدتي فأنت تعلمين أننا لم نتل أي قرآن سواء بالمذياع أو التلفاز منذ أكثر من عامين، وكما تعلمين أن البيت الذي يُقرأ فيه القرآن لا يدخله جان.

تركت الخادمة الجدة وتوجهت إلى لاوجا؛ أمسكتها من معصمها لتزيد من حديثها:

- فيا سيدتي الجن موجود، وهناك الجن العاشق الذي يعشق البنات الصغيرة، ويحاول أن يؤذيهن إن اقترب من البنت أي رجل يحاول الزواج بها، وسيدتي نالين عروس جميلة، وفي عُرسك حاول الكثير أن يتقرب إليها، ألم تشاهدي فيلم الإنس والجن!! لقد كان الجن يريد أن يتزوج البطلة.

ضحكت لاوجا من حديث هند، وبدا عليها الاندهاش قائلة:

- يبدو بأنك يا هند تعلمين الكثير عن الجان والعالم السفلي، هل تقرئين روايات الرعب وتطالعين كتب وبرامج تحضير الأرواح على التلفاز!! أعلم أن هناك روايات كثيرة وكتب عديدة عالجت أمر الجن العاشق، الذي يحاول جعل الإنسية ملكة، فقط يحبها ويعاشرها ويتزوجها، بل إن هناك كتبًا وقصصًا وروايات قديمة عن حدوث حمل بين الجن والإنس، لكن كل تلك القصص مجرد خرافاتٍ وخيال كاتب، خيال مقدم برامج يريد أن يحدث نوعًا من الإثارة فقط، لا أعتقد أن ما تقولينه صحيحًا أيتها الجاهلة الخرفة.

لم أقصد ذلك سيدتي وإن كنت أعتقد أن الحمل بين الإنس والجن ممكن حدوثه، لكن الجن العاشق موجود بالفعل، وقد رأته كثير من الفتيات خاصة ممن يتمتعن بنصف جمال سيدتي نالين، فما بالك بسيدتي نالين وجمالها الباهر.

ابتسمت الجدة ابتسامة خفيفة لتخبر لاوجا:

- الجن العاشق موجود، وأنا واثقة من ذلك، لقد رأيته في صباي حين كان عمري خمسة عشر عامًا، وذهبت بي أمي إلى أحد الشيوخ كي يصرفه عني؛ والحمد لله انصرف.

ضحكت لاوجا وعلا صوتها من حديث الجدة، وبدا عليها الاندهاش، لكن الاندهاش الأكبر كان على ملامح مهاب ونالين اللذين استمعا جيدًا، ووقفا عند كلمة واحدة... الجن العاشق.. "أن تحمل الأنثى من الجان".

سرت تلك الكلمة في جسد مهاب مثل الماء البارد على جسد ملتهب من حرارة الجو؛ أنعشته، أعطته روحًا فوق روحه، وبدأ يحادث نفسه:

- ولم لا يكون هذا بالفعل ابن جان، وإن الجن العاشق الخاص بابنته قد فعل فعلته ومارس معها المعاشرة دون أن تدري، لكن هل هذا معقول؟! إنه دجل وتلك القصص التي كنا نسمعها ونحن صغار كانت مجرد عبث، عقله بدا مصرًا على تصديق القصة، حادثه مجددًا:

- حتى وإن كان عبثًا فلم لا يكون ذلك مخرجًا من الأزمة، فهناك قصص كثيرة سمعناها عن الزواج بين الجن والإنس، والتلفاز به تركيز كبير على السحر وتحضير الأرواح إلى ذلك مما يذاع في قناتي الفضائية، إنها لفكرة جميلة؛ سأتصل بمدير القناة، وأجعله يزيد في الحديث عن الجان والزواج بين الإنس والجان، وأن يختلق مزيدًا من القصص الوهمية، وأن يحضر الكثير من المشعوذين والدجالين، الذين يأخذون من أمواله الكثير؛ ليقنعوا المشاهدين بما هو خارق، ولو انكشف أمر ابنتي؛ فسيكون الرأي العام مهيأ لتقبل فكرة أن نالين قد حملت من جان دون أن تدري،

يبدو بأن مهاب قد وجد حلًا لتلك المشكلة، فهو يعلم علم اليقين بأن كل شيوخ السحر والرقية الشرعية ما هم إلا دجالين يعشقون المال، يفعلون ما يفعلون من أجل المال وليس هناك ما يسمي سحر أو جان أو قدرات خاصة؛ فقنواته الفضائية هي من تبث الخدع والخزعبلات للناس؛ لأن المشاهدين يعتقدون فيها.

يعتقد مهاب أن الإنسان إن لم يقدر على فعل أمر ما؛ فإن عقله يُخيل له أنه لم يستطع بسبب قوة خارجية أخرى، لقد جاءه الحل على طبق من ذهب.

انتهى عقل مهام من محادثة نفسه، وجد الجدة والخادمة اتفقتا بالفعل على موعد قدوم الشيخ لمعالجة نالين.

حاولت نالين ولاوجا أن يثنيا الجدة عما تنوي فعله؛ لعدم قناعتهما بمثل تلك الأمور ورفضهما رفضًا قاطعًا قدوم شيخ إلى منزلهم، لكن مهاب استجاب لقول هند والجدة، اقترب مهاب من نالين وابتسم في وجهها قائلًا:

- لا تتعجلي يا صغيرتي؛ فالجن العاشق حقيقة، وهناك زيجات بالفعل تمت بين الإنس والجن فجدتك صادقة.

بدأ بالفعل عقل نالين يفهم مدلول كلام أبيها، مما جعلها تصمت وتحادث نفسها: هل هذا معقول؟ هل ما بداخلي ابن جان ؟ لا يهم إن كان ابن جان أو ابن إنسي ما يهمني فقط أنه ابني وأنا أريده .

الفصل السابع

عاد البيت إلى سابق عهده بوجود الجدة ومهاب ولاوجا ونالين، تناولوا الإفطار جميعًا في حجرة نالين، حدث ما لم يحدث من قبل، أبلغ الخدم سرًا السيد مهاب بأن هناك ضيفًا بالأسفل يدعى الضابط عادل يريد مقابلته.

أمر السيد مهاب الخادم باستضافته في حجرة المكتب، ولا يتركه منفردًا دلف مهاب إلى مكتبه؛ فوجد عادل واقفًا في منتصف الحجرة تطالع عيناه كل شيء فيها من أثاث فخم وزخارف وتحف فنية، وصور زيتية عالمية وغيرها.

وجده ببذلته المدنية، وبوجهه الأبيض اللامع المستدير، وعينيه الزرقاوين، وكأنه بدر شقه غيم أسود في منتصفه، ذلك الشارب الكبير الذي غطى شفته العلوية، وبجسده الضخم وطوله الفارع انحنى قليلًا ليسلم على مهاب.

- أهلا بك في قصري أيها الضابط.

- أهلا بك سيدي إنه لفخر لي أن أدخل منزلك الكبير هذا.

- منزل!! وهل كل هذا منزل؟!!

- بالطبع سيدي قصر لا يختلف كثير عن قصر عابدين، بل هو أضخم منه وأعظم.

أُعجب مهاب بثناء عادل على قصره، مما جعل ملامح وجهه تنبسط بهجة بكلامه؛ فجلس واستراح وهدأت أنفاسه؛ ليخبر عادل:

- أريد أن أسألك سؤالًا؟

- تفضل سيدي..

- لماذا جئت الآن؟!

اندهش عادل من سؤال مهاب، وتغيرت ملامحه؛ ليجيب:

- أنت من طلبتني.

- أنا!!!!

- أقصد الطبيب ممدوح هو من أرسلني، اتصل بي أمس وأخبرني أن لديك قضية ما، وتريد مني أن أساعدك في حلها خارج إطار المحاضر الرسمية.

- نعم نعم، ولكنك جئت بهذه السرعة، يبدو بأنك لا تحب أن تضيع وقتك هباءً وهذا شيء أعشقه.

- سيدي الساعة قد قاربت على الظهيرة، وأنا كنت بالعمل ليلًا وأستعد للذهاب إلى بيتي لأخلد للنوم، فأتيت قبل أن أنام، كيف يكون للسيد مهاب طلب ويؤجل.

- عظيم عظيم لكن هذا الأمر قد انتهى.

- انتهى... كيف؟!!

- لا تقلق لقد عرفنا الفاعل، وانتهى الأمر.

- لكن لابد للقانون أن يأخذ مجراه.

- لا في تلك الحالة لا وجود للقانون.

- كيف؟!!

- لماذا تسأل؟ هذا أمر خاص وانتهى وعرفنا الفاعل.

- أستمحيك عذرًا وآسف أني أزعجتك بسؤالي، يبدو بأن الفاعل من أفراد عائلتك، وتخاف أن يعرف الجميع، عمومًا أنا في خدمتك وقتما تشاء.

انفعل مهاب من تلك الكلمة قائلًا له:

- إن عائلتي لا تُخطئ أيها الضابط، ولو حدث فلا تعاقب.

- أنا أعلم سيدي إنه فرض غير مقصود، أرجو منك أن تتقبل اعتذاري، لكن ما هذا الصوت الذي بالخارج؟

قالها عادل وأشار بإصبعه إلى خارج المكتب.

- أي صوت، أنا لا أسمع شيئًا أيها الضابط.

- إنه صوت صراخ سيدي، يبدو بأنه قادم من أعلى.

خرج السيد مهاب؛ ليري ما بالخارج، كان قلقًا على نالين، شعر بأن بها شيئا، ولم لا فعقله أصابه الشلل، وقلبه بدا قلقًا بل يفزع مجرد الفزع لو أخبره أي شخص أي أمر ولو من بعيد عن حال ابنته، لكن مهاب لم ير أحدًا في الخارج، نادى على الخدم وعلى كل من بالبيت يسألهم: "هل صرخ أحد أو سمعتم صوت صراخ". وكانت الإجابة من الجميع لا شيء سيدي.

عاد مهاب إلى المكتب فوجد عادل جالسًا على الكرسي الآخر المقابل لمكان جلوسه الأول، نظر مهاب إليه نظرة تعجب لم يسأله عن صوت الصراخ، وكيف سمعه، أحس مهاب بأن هناك شيئًا غير عادي.

طلب عادل من مهاب الانصراف لشعوره بأن تواجده لا فائدة منه استجاب مهاب لطلبه لأن وقته لا يسمح بمزيد من المناقشات؛ فانصرف على الفور، فلقد نفذ نصف ما كان ينوي فعله على الأقل.

في أثناء اللقاء بين عادل ومهاب بمكتبه كان هناك حديث آخر في حجرة نالين، الجدة ولاوجا ونالين، وتقف بجوارهم هند يتحدثن فيما ألم بعائلة مهاب.

ارتمت لاوجا بأحضان نالين كل منهما تشكو ما بها من ألم لا تقدران على البوح بأسرارهما للأخرى حتى وإن كانتا أختين من رحم واحد.

تحدثت نالين لتسأل لاوجا:

- هل حقًا عدتي من أجلي؟ هل تركتي أجمل أيام عمرك من أجلي؟

- أجمل أيام عمري!! يا لك من مشاكسة صغيرة، أجمل أيام عمري عندما تكونين في أحضاني، عندها تغمرني السعادة.

- ما بك يا أختاه، يبدو أن هناك ألم كبير، ماذا حدث؟ وأين زوجك؟!!

- زوجي الكل يسأل عن سبب ألمي ويريدون منه القدوم، هل حقًا تتمنون لي السعادة، إن كنتم تريدون أن أكون سعيدة فعذرًا لا أريد من أحد أن يُذَكِرني به.

شعرت الجدة أن هناك خطبًا ما، لكنها لا تريد أن تُطلِع عليه هند؛ فطلبت من هند أن تعيدها إلى حجرتها، وتترك الأختين تلقيان ما بصدريهما، لعلهما تأتيان إليها كل بمفردها؛ فتحكي كل منهما عما ألم بأختها للجدة.

بعدما انصرفت الجدة وقامت الخادمة بإيصالها إلى المصعد الخاص لتنزل حجرتها في الطابق السفلي بالقصر، سألت لاوجا نالين:

- هل حقًا سيحضرون لك شيخًا كي يقرأ عليك القرآن؟ هل حقًا سيخرجون منك الجان؟

تبادلتا الضحك فيما بينهما، فالاثنتان غير مقتنعتين بفكرة الشيخ، وتعتبرانه رجلًا جاء من أجل المال، لقد قرأتا الكثير من رويات الرعب، وكتب تحضير الأرواح والجان،

انهت لاوجا ضحكاتها لتخبر نالين :

- يبدو أن الجان قد مسنا من قصص الرعب التي دائمًا ما نقرأها، وتلك الأفلام التي نشاهدها، لكن هذا جهل وتخريف فكيف لكلمات تُقرأ أمام شخص فتخرج الجان من جسده، لا أعتقد في هذا الأمر أو في ذلك الشيخ.

- وأنا مثلك أختاه لا أعتقد في تلك الأمور الغريبة، ولا أحب سماع القرآن، لكن ما الحل!! دعك من كل هذا لاوجا دعيهم ليفعلوا ما يريدون.

حاولت نالين أن تخرج من تلك المناقشة، وأن تبعد هذا التفكير عن عقل لاوجا، فالاثنتان على يقين بأن كل هذا تخريف، لكنه قد يكون مخرجًا لنالين من حالتها، على الرغم من أن نالين تريد أن تعرف من يكون والد جنينها، انس أم جان ، ومن أين أتى، إلا إنها كانت تريد مخرجًا من ذلك المأزق بأي حل حتى وإن كان أمرًا تكرهه.

سألت نالين سؤالًا بدا ماكرًا منها:

- خبريني حقًا عن الزواج، هل هو جميل؟ هل حدث شيء بينك وبين زوجك؟!

تنهدت لاوجا حزنًا، وقالت:

- المصيبة أنه لم يحدث أي شيء.

- كيف هذا، هل هناك خطب ما به؟! هل يعاني من أي مرض!! ماذا حدث؟!!

ضربت لاوجا بيدها على فخذ نالين العاري ضربة خفيفة لتخبرها:

- ما بك أيتها الصغيرة، هل كبرت ونمت أغصانك، اهدئي ليس ما بعقلك، لكنه أمر آخر لا أستطيع البوح به الآن.

- ماذا حدث لاوجا لقد قلقت عليك!!!

- لا تقلقي أختاه ونامي واهدئي؛ فبعد يومين سيكون لديك حدث عظيم مع الشيخ الكبير وقرآنه.

- بالفعل حدث عظيم غريب سأنام لكن قبل أن أنام سأراسل بعض صديقاتي؛ لأطمئنهم على حالتهم.

انصرفت لاوجا وتركت نالين تداعب هاتفها بأصابعها، تراسل صديقاتها تارة، وتبتسم للهاتف أخرى، وتارة تظهر عليها علامات الغضب، يتفاعل وجهها مع سيل الرسائل التي تأتيها تباعًا، وكأن وجهها تحول إلى ايموشينات برامج التواصل الاجتماعي.

استوقفتها رسائل صديقتها المقربة جدًا سارة، بئر أسرارها، كل منهما يحاول الاطمئنان علي حال الأخر فسارة صديقة نالين المقربة من أيام الدراسة.

سألت سارة نالين عن لاوجا وحالها حاولت أن تستفسر عن ما دار بينها وبين زوجها في ليلة زفافهما.

أجابتها نالين:

- هل حقًا تعتقدين أن لاوجا من الممكن أن تخبرني عن تلك الأمور، إنها خجولة جدًا وانطوائية لأقصى درجة كما تعلمين.

- دعك من كل هذا يا سارة وأخبريني أولًا عن حبيبك، أم أقول زوجك فريد!!

- كم مرة أخبرتك ألا تذكري كلمة زوجي في الشات؛ أخاف أن يراها أحد ما.

لا تقلقي، ومن الممكن أن تمسحي تلك الرسائل من هاتفي وهاتفك؛ إننا نتحدث على الواتس وليس الماسنجر أيتها الخرقاء.

لم تستطع سارة مواصلة الكتابة، وبعثت برسالة صوتية إلى نالين تخبرها:

"إنه بخير، نتقابل كل عشرة أيام في شقتنا، نختلس بعض الوقت، نُسعد أنفسنا، نشرب وندخن ثم ننصرف، لا أخفيك سرًا إن قلت إنني أشعر بتباعد فيما بيننا منذ أن سمحت له أن يحتل جسدي، بعدما كان يحادثني يوميًا وأراه كل يوم إما في الأماكن العامة أو الخاصة أو حتى على الشات، أصبح الأمر مجرد اجتماع فيما بيننا، نمارس الحب وندخن؛ أصبحت شقتنا أقرب إلى غرزة شعبية، وأنا فتاة ليلة لا أكثر".

- تبادلت نالين مع سارة الرسائل الصوتية لتخبرها:

"أنا أتعجب من قولك يا سارة، فلقد نصحتك ألا تجعليه يحتل جسدك، كان من الأفضل أن يمارس طقوسه عليك ظاهريًا فقط".

- لا تعاتبيني نالين، لست قوية بما يكفي كي أمنع نفسي عنه، لقد كنت أريده أكثر مما يريدني، أتعجب حقًا هل هناك جندي يستطيع

أن يُشهر سلاحه أمام عدوه طيلة الوقت ولا ينفلت منه بعض الرصاص!!

أرسلت كل منهما ضحكة على الشات، منها ضحكات طويلة بعدها أغلقت كل منهما هاتفها وبدأت كل منهما تفكر في حالها.

الفصل الثامن

حاولت نالين أن تتعايش مع فكرة أن لرجل القدرة على محاربة الجان في جسد أنثى؛ بل حاولت أن تتعايش مع فكرة تواجد جان في جسد أنثى يحتلها مثل الأزواج ، فبالرغم من أنها موهمة بقصص الرعب والخيال العلمي والافلام الكثيرة التي تحكي عن ذلك إلا أنها تعتقد أن هذا محض خيال لا أكثر وأن هذا لا يحدث في الواقع ولو على سبيل المصادفة، كما أنها لا تعتقد في الشيوخ بل تنفر منهم، لا تحب سماع القرآن بل لا تعتقد في وجود الأديان أو أن هناك حاكمًا يحكم تصرفاتها ويتحكم في حياتها فتربيتها لم تكن بها أي شيء يحثها على التمسك بدينها وتعليميها ومعلميها في مدرستها نزعوا عنها كل ما هو شرقي كل ما يربطها بدينها.

عانت كثيرًا نالين في تلك الليلة فهي تريد أن تجد سببًا لما هو كائن في أحشائها؛ ، تريد أن تعيش مثلما كانت، تخرج وقتما تشاء، وتقيم في أي منزل من منازل أصدقائها، تستطيع أن تبتعد بعيدًا في الجبال وفي الغابات الأوربية مع من تريد دون أن تسمع ولو نبرة رفض من والدها،

حضر الشيخ إلى القصر في الموعد المتفق عليه، بعدما استدعاه مهاب بِناءً على توصية من الخادمة والجدة.

شيخ بلباس أزهري، طويل القامة ذو لحية بيضاء يتخللها شعر أسود ليس بالكثير، يبدو بأن عمره تخطى الخمسين عامًا، ضخم البنية باستطالة وجهه الكبير وتلك التجاعيد التي تملأ وجهه مع عينيه الواسعتين العسليتين اللتين زادتاه هيبة ورهبة.

ذاع صيته في الأحياء الراقية تحديدًا على قدرته على فك السحر، والرقية الشرعية وإخراج الجان من الجسد خاصة وأن

هناك حالات كثيرة شفيت بالفعل على يديه، التجاعيد التي في وجهه تشبه تجاعيد عجوز تخطى السبعين من العمر، قيل إنها نتيجة محاولات للجان حاول فيها أن يدخل إلى جسد الشيخ عندما يتصارع معهم لإخراجهم من جسد الضحايا لكنهم دائمًا يفشلون.

دخل الشيخ إلى القصر وزاد انبهاره بالقصر من الداخل بعدما أُعجب بمداخله وحديقته، استقبلته هند برهبة شديدة اندفعت مسرعة إليه، وانحنت لتقبل يديه.

انفعل الشيخ وانتفض جسده من فعل هند، نزع يده منها مستغفرًا ربه غاضبًا، بدأت شفتاه تتمتم بكلمات غير مسموعة، أنهى تمتماته؛ ليجد مهاب واقفًا أمامه، والجدة على كرسيها في استقباله،

ألقى عليهم السلام فردوا بمثل ما قال، أجلسوه في بهو القصر، شرب قهوته دون أن يحادثه أحد، صمت وهدوء تام من الجميع، لا صوت يعلو على صوت رشفه لقهوته.

انتهى من ارتشاف قهوته، نظر إلى الجميع، مهاب وهند والجدة سمح لهم بالحديث، لم تنبس شفتاه إلا بكلمتين فقط:

- ما الأمر؟

بدأت الجدة وهند ترويان قصة نالين على حسب معرفتهما واعتقادهما، كان حديثهما يتلخص في أنها فاتنة الجمال يحبها الجميع ويعشقها الرجال قبل الشباب؛ لدلالها ورقتها، الكل يحاول أن يتقرب منها، لكنها دائمًا ما ترفض وتنفر من أن تمسها يد أي رجل، تمنعت عن الجميع، ولم ترغب في أحد؛ لذا فإنهم يعتقدون أن شخصًا ما قهره رفضها له؛ فقام بتدبير سحر أسود لها كي يوقعها في حبه، أو لا تقع في حب أي رجل، أو ربما هناك جان من تحت الأرض عشقها؛ فأراد أن يستأثر بها لنفسه دون الشر؛ فسبب لها ذلك انهيارًا

عصبيًا أضر بروحها وجسدها، فلا يعلم الأطباء من أي مرض تعاني.

كل ذلك الحديث مر على مسامع مهاب الجالس أمامهم يستمع، ولم يتفوه بكلمة واحدة، تكلمت عيناه تطالع الشيخ، الغريب في الشيخ أنه ترك مسامعه للجدة وهند، وعيناه تحادث عين مهاب الناظرة إليه طوال الوقت، ظل بين العينين حوار شعر الشيخ بأن هناك لغزًا في الأمر لا يعرفه غير مهاب، وأن الجدة وهند لا تعلمان شيئًا.

انتهى حديث الجدة وهند، وانتهى الحديث الصامت بين الشيخ ومهاب؛ طلب الشيخ أن يتحدث إلى نالين.

وافق مهاب على الفور، وطلب من هند أن توَّصل الشيخ إلى حجرة نالين، تقدمت هند أمام الشيخ وهي تجري أمامه تطأطئ رأسها، في مشهد شعر فيه مهاب بالغيرة، فكيف لشخص آخر بقصره يُعامل هكذا كأنه رئيس دولة، وليس شيخًا أو دجالًا لا يهمه غير المال.

تابعت لاوجا الأمر من بعيد، جلست في حجرة جدتها تتجسس عليهم، تتوجس من الشيخ خيفة، تخشى أن يلمح حتى طرفها على الرغم من أنها لا تعتقد في أمر فك السحر، أو أن للقرآن قدرة على طرد الشيطان والجان، إلا أنها كانت ترتعد خوفًا كلما نظرت من بعيد في وجه الشيخ الجالس في بهو القصر.

صعد الشيخ إلى حجرة نالين خلف هند وعيناه تطالع كل ركن في القصر، ينظر إلى الأماكن المظلمة فيها نظرة تفحص كاملة، يتمتم بكلمات كلما رأى بابًا مفتوحًا لحجرة مظلمة، واصل يمد خطاه حتى وصل إلى حجرة نالين.

همَّت هند بتفتح باب الحجرة لدخول الشيخ، لكنه أصر أن يفتح الباب بيده هو، وأن تبتعد الخادمة فورًا قبل أن تلامس يده مقبض الباب.

ابتعدت هند بل غادرت الطابق كله مرتعدة من نظرة الشيخ إليها، دلف الشيخ إلى حجرة نالين، وألقى السلام بصيغة الجمع قائلًا:

السلام عليكم، على من حضر ومن تواجد ومن بالسر عليم، لم يرد أحد على الشيخ غير مهاب المتواجد خلفه.

تقدم مهاب من خلف الشيخ ليتواجد داخل الحجرة، وجلس على كرسيها.

مما أغضب الشيخ، لم يهتم الشيخ بتواجد مهاب وتركه ولم يبالِ به، وتطلعت عيناه إلى نالين المستلقية على فراشها بلباس نومها القصير الرقيق، الذي كشف كثيرًا من جسدها، أسرع مهاب ليستر جسد ابنته العاري عن أعين الشيخ التي توارت خجلًا عندما رأت جسد نالين.

كشفت نالين مرة ثانية عن ساقيها، وأزاحت الفراش الرقيق بساقيها، حاول الأب مرة ثانية ستر جسدها، لكنها نفضت الغطاء عنها، بل تأوهت بصوت غاضب خفيف، عبرت به عن غضبها وكأن الغطاء به شوك أصاب جسدها الناعم الرقيق.

طلب الشيخ من السيد مهاب مغادرة الحجرة فورًا، رفض مهاب المغادرة؛ وأصر على الجلوس قائلًا والخوف يكاد يتسلل إلى كلماته، التي تخرج متقطعة من فمه:

-أنا والدها ورجل كبير، ولا أخاف الجان ولا أي شيء، ولابد لي من التواجد معكما.

عقد الشيخ حاجبيه ونظر نظرة يتفحص بها وجه مهاب الغاضب، لعله يجد في عين مهاب الخوف فيصر على خروجه، ثم قال:

- أحقًا لا تخاف من الجان إنهم يحتلون الجسد؛ ليجعلوه خادمًا لهم، هل تريد أن تكون خادمًا لهم؟!

انتفض مهاب من كرسيه غاضبًا وضرب بعصاه الأرض، وعلا صوته؛ ليعلن عن الغضب الممزوج بالخوف:

- لا لن أغادر ولا أخاف شيئًا، الكل يخافني ويخشاني، حتى أنت ستخافني، أنت والجان الذي جئت من أجله.

انتفض جسد نالين، وبدأت تهلوس بكلمات غير مفهومة، جعلت السيد مهاب يفزع، وهوى بجسده على الكرسي مرة ثانية،جلس ولم تتحرك أنامله، وبدا على ملامحه الخوف، جلس الشيخ على جانب الفراش الأيسر بجوار نالين، ثم وضع يده اليمني على جبهتها، وبدأ يتمتم بكلمات جعلت جسد نالين يهدأ قليلًا.

بعدما أنهى الشيخ تمتماته قام من جوار نالين ثم طلب من السيد مهاب الهدوء وعدم الخوف، بل أخبره بأن وجوده ضروري الآن لأنه لا يجوز أن يُخرج ما بها من جان وهما بمفرديهما دون محرم.

أخرج الشيخ من جلبابه عدة أربطة مصنوعة من القماش، وأمسك بقدم نالين اليمنى، وبدأ بربط أصابع قدمها واحدًا تلو الأخر يلف الرباط على الإصبع ثم يدمجه في الإصبع المجاور له فالمجاور، حتى انتهى من أصابع القدم اليمنى الخمس.

أمسك قدمها اليسرى، فدمج أصابعها الخمس أصبع وراء إصبع، ثم يدها اليمنى واليسرى، ودمج أصابعهما الخمس بالرباط القماشي بنفس الطريقة.

قيد القدم اليمنى في الجانب الأيمن للفراش، والقدم اليسرى في الجانب الأيسر، وكذلك فعل في كلتا يديها اليد اليسرى واليمنى قيدهما في أعمدة الفراش.

آيات من القرآن الكريم تتحدث شفاة الشيخ بها علانية، وضع يده فوق جبهة نالين مجددًا ليتمتم بكلمات غير مفهومة جعلت جسد نالين يتصبب عرقًا مع رعشات متتالية انتفض جسدها وكأن يديه بهما ماس كهربائي أصاب جسد نالين.

حركت نالين يديها وقدميها المقيدتين في الفراش حركات خفيفة؛ تحاول بها فك القيد دون جدوى، جسدها بدأ يتلوى في الفراش بهدوء، كأنها تتراقص، انتفض جسدها مجددًا، بدأ جسدها يعلو ليترك الفراش سنتيمترات قليلة، ويهوي مرة أخرى، تصادمات متتاليه بين جسد نالين والفراش، وكلما ارتفع صوت تمتمات الشيخ كلما انتفض جسد نالين الغارق في سبات عميق، حركت نالين أطرافها بشدة وعنف، حاولت فك أسرها بدأ جسدها يتلوى، صرخت صرخة عالية، سمع دويها كل من كان بالقصر حاولت فك القيد دون جدوى.

زاد الشيخ من تمتماته بصوت عالٍ مسموع، بدأ يصرخ ويزمجر ينفر من كل ذلك، ومهاب جالس أمامها لا يقوى على الحراك، ساكن صامت حابس لأنفاسه، لا يعي ما يحدث، يشاهد ابنته وانتفاضة جسدها، وكأن الكهرباء تسري بجسدها، يريد من الشيخ أن يتوقف، يريده أن يترك ابنته، لعل يده أو كلماته هي من

جعلت جسدها ينتفض، تجرأ وطلب من الشيخ أن يتوقف، نظر الشيخ إلى مهاب نظرة جعلت جسده يرتعد؛ فلقد تحولت عين الشيخ إلى بياضٍ كاملٍ دون أي سواد بها، ورفع يده الأخرى في وجه مهاب، ثم طلب منه بغلظة أن يهدأ.

صدر صوت محشرج من فم نالين ينبس بكلمات مكتومة، لا يعرف معناها، علا صوت الشيخ زاد من إحكام قبضته على جبهة نالين، زادت حدة الصوت الخارج من فم نالين، وارتفع معها صراخ نالين، صوتها مع الصوت المكتوم، صوت وراء صوت، أصوات متتابعة تخرج من فمها، بدأ الجسد يرتعش كثيرًا؛ زاد الانتفاض مما جعل القيد الذي في يديها ينقطع تمامًا، حاولت نالين أن تمسك بيد الشيخ، حاولت أن تغرز أظافرها بيده، أمسك يدها جيدًا بل عصر معصمها فلم تقو على الحراك.

هدوء تام حدث، تمتمات الشيخ توقفت، انقطعت الأصوات، وهدأ جسد نالين المتعرق، الذي تعرى تمامًا، ولم يخف منه غير عورتها، استراح جسدها، بدا كخرقة بالية مبتلة في ظهيرة يوم حار.

طلب الشيخ من مهاب أن يتركها تخلد إلى النوم، فهي متعبة وتحتاج إلى الراحة التامة، ولا يوقظها أحد حتى الصباح؛ خرج الشيخ والسيد مهاب من الحجرة، الشيخ هادئ متزن ومهاب قدماه وعصاه لا يقدران على حمله.

أمسكه الشيخ من عضده ليساعده على السير؛ ليخرجا سويًا، قابلهما هند والجدة في الأسفل، بدا عليهما الزعر والخوف، لم يلتفت إليهما الشيخ، ولم ينظر إليهما، حتى هما لم تقدرا أن يسألاه ولو سؤالًا واحد، أو حتى تطمئنا على حال نالين، فقد ملأ الخوف والفزع رئتيهما.

طلب الشيخ من مهاب أن يجلس معه بحجرة المكتب على انفراد؛ فانصاع له مهاب ولم ينبس بكلمة واحدة. دخل الاثنان إلى حجرة المكتب بعدما استعاد مهاب قليلًا من قوته، قام بفتح خزنته أمام الشيخ، وطلب منه أن يحدد المبلغ الذي يريده، ولم لا!! فلقد أزال من على رقبته سيف العار فابنته حامل من الجان، وأن ما بها ما هو إلا مس، ويستطيع أن يتخلص منه على الفور، حتى إن السيد مهاب قام بتصوير كل تلك الأحداث بواسطة هاتفه، الذي وضعه في جيبه وقام بفتح فتحة صغيرة في بذته أمام الكاميرا؛ كي لا يشعر الشيخ بما يفعل فيغضب؛ ليستطيع أن يؤكد للناس أن ما بابنته مس من الجان لا أكثر.

نظر الشيخ إلى الخزانة الممتلئة بالمال ثم ضحك ضحكة صغيرة؛ ليخبر مهاب:

- هل تظنني جئت من أجل المال سيدي؟ أولًا هل تثق بي أم لا؟

استدار السيد مهاب تجاه الشيخ قائلًا:

- بالطبع أثق بك، فأنت شيخ وعالم، واستطعت أن تخرج الجان من جسد ابنتي؛ فلك ما تطلب حتى وإن أخذت ما بالخزانة كله.

انزعج الشيخ من كلام السيد مهاب، وبدا الغضب في وجهه وكلماته:

- سألتك سؤالًا واحدًا؛ فأجبت وزدت، ولكنني لا أبالي بما زدت من القول، وسأخبرك شيئًا، ابنتك كاذبه ليس بها مس أو جان أو أي شيء، الغريب أنها تتصنع ذلك، لا أعلم لِمَ، ومن علمها ذلك لا أعلم.

هوى مهاب بجسده على الكرسي المجاور له، تاركًا خزانته وما بها من مال، قائلًا للشيخ:

- تكذب أنت مخطئ، ابنتي ليست بكاذبة.

- لست بكاذب، وسألتك من بضع لحظات، وأجبت أنني مستحيل أن أكذب.

- لكن ما شهدته اليوم وما فعلته أنت بابنتي هل تريد أن تخدعني لقد شاهدت كل شيء ولقد صورته بالفعل انظر إلى هاتفي.

أزاح الشيخ الهاتف من أمامه قائلًا:

- نعم أعلم أنك شاهدت كل شيء كما شاهدت أنا، وشاهدت مئات غيرها، لكنني أقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، ابنتك تريد خديعتنا، تريد أن توهمك أن بها مس من الجان لِمَ؟ لا أعلم، وأنا الآن أسألك لماذا تريد أن تقنعنا بذلك؟

حينها شعر السيد مهاب أن سيف العار قد قطع رأسه، وأن هناك مصيبة، وأن ابنته كذبت وتريد أن تخفي عنه أمرًا، قام الشيخ من مجلسه؛ ووقف أمام مهاب وأمسك بيده فوجدها ترتعش ليقول له:

- لقد جئت كي أعالج ابنتك، وقد قمت بنصف علاجها، وإن كنت تريد مني أن أقوم بالنصف الآخر فعليك أن تخبرني بكل شيء بالتفصيل.

رفع السيد مهاب وجهه في وجه الشيخ الواقف أمامه ليقول له:

- تعالجها كيف وليس بها مس من الجان؟! لقد جئت لتخرج الجان منها؛ واكتشفت أنه لا وجود له، فمن أي شيء ستعالجها؟!!

- قبل أن أكون شيخًا فأنا أب ورجل، فلا مانع من أن تحكي لي ما بها؛ فلربما يكون عندي الحل.

صمت السيد مهاب بضع دقائق؛ جعلت الشيخ يجلس على الكرسي مرة أخرى بعدما أتعبه الوقوف، ساد الصمت بضع دقائق ثم تحدث مهاب، وأفضى للشيخ بما به من ألم قائلًا:

-ابنتي حامل وغشاء بكارتها سليم ولم يُمس بشهادة كل الأطباء، وتدعي أنها لم يلمسها بشري، وأنت تقول إنها تكذب، وتدعي أن بها جان، خبرني بالله عليك أين الحقيقة؟

-جميل منك أنك قلت تدعي؛ فمعناه أن عقلك بدأ يتجاوب لحديثي، سيدي إذن ابنتك تريد أن توثق فكرة أن ما بها من حمل من فعل الجان، ولم تمس من بشر ، لكنها تكذب، ولا يوجد جان حاول أن يمسسها، أعلم أن هناك أقوال كثيرة عن الطفل الزهري، وحالات المعاشرة بين الجان والإنس لكن كما قال عالمنا الجليل لو أننا تركنا هذا الأمر في مجتمعنا مقبولًا ومتاحًا فمعناه أن كل عاهرة ستأتي إلينا بجنينها؛ لتخبرنا أنه من فعل الجان، وأنه ليس لها من الأمر شيء، أنا لست دجالًا يا سيدي ، وما شاهدته من ابنتك الآن ما هو إلا ادعاء وتمثيل، ومحاولة للخداع لا أكثر، محاولة لجعلك تصدق أن ما بها هو ابن جان، وليس لها من الأمر أي شيء.

- إذن أنت تعتقد أن ابنتي عاهرة، وأنها تكذب وتخفي عليّ أمرًا ما؟

- لم أقصد القول إنها عاهرة، كما لو أنها عاهرة فلماذا غشاء بكارتها سليم إنه لأمر محير.

- إذن خبرني أيها الشيخ الحقيقة، فلقد بدأ عقلي يجن.

- يا سيد مهاب الحمل يحدث إن وصل ماء الرجل داخل رحم المرأة، وهذا سائل والغشاء به ثقوب تسمح بخروج دماء الحيض منها، فلِمَ لا يدخل ماء الرجل إليها، لكن كيف يدخل، هذا هو السؤال، وكما تعلم إما بطريقة إقامة علاقة جنسية كاملة؛ وفي تلك الحالة يفض غشاء بكارتها كليًا أو جزئيًا، أو أن يتم إدخال ماء الرجل إلى المرأة دون أن تدري، وما فعلته ابنتك اليوم أمامي يؤكد لي أنها تخفي شيئًا ما

- إذن الأمر يكاد يكون كما قال الطبيب ممدوح جريمة، وإن هناك شخصًا خدرها؛ ومن ثم قذف فيها ماءه دون أن تدري.

- لا أعلم أخي من الممكن أن يكون كذلك، لكن لماذا تدعي أن بها جان، لماذا فعلت ما فعلت أمامي يبدو بأن هناك أمرًا آخر لا أفهمه.

- لا يوجد إلا أمر واحد أمامي الآن أيها الشيخ، إنها جريمة ولابد من استدعاء الضابط عادل على الفور.

- جريمة!!! لا أعلم ولكني أعتقد أن ابنتك تعلم الحقيقة أو جزءًا كبيرًا منها.

- ابنتي لا تعلم أي شيء، فلقد غرر بها أعدائي للنيل مني، ابنتي طاهرة عفيفة شريفة.

- لا عليك، فما شهدته اليوم منها قد أثبت لي أن هناك أمورًا كثيرة مخفية، وأنا أريد أن أساعدك وأساعدها؛ لذا اسمح لي أن أحضر لأحادثها حديثًا عاديًا في يوم ما.

تنهد مهاب لما سمع، تنهد بعدما ضاق به ذرعًا يكاد عقله يُشل فلا يعلم مَن الصادق ومَن الكاذب، وأين الحقيقة حتى إنه فكر في أن يتخلص من الجنين. ويداوي عار ابنته وينتهي الأمر، لكنه كان مرعوبًا من أن يكون هناك عدو له فعل هذه الجريمة في حق ابنته، وصورها كي يبتزه بعد ذلك؛ فخاف أن يتخلص من الجنين قبل أن يعرف الحقيقة، خاف أن يعرض ابنته للخطر لو حدث لها إجهاض وهي تعاني من تدهور في صحتها، بدا مهاب مرعوبًا قلقًا، يبدو بأن سمعته على المحك.

الفصل التاسع

غادر الشيخ القصر وكله أمل أن يقتنع مهاب بأن نالين تعرف كل الحقيقة، فكيف لفتاة في مقتبل العشرينيات من العمر أن تتصنع أمام أبيها وشيخ كبير أن بها جان، لقد حاولت أن ترسخ في أذهانهم أنها حامل نتيجة اغتصابها من جان سفلي، أتقنت هذا الدور جيدًا فجميع حركاتها وتأوهاتها كانت دليلًا على أن بها جان، اتقنت دورها في فيلم كبير كي تداري فضيحتها.

لم يقتنع الشيخ بهذا الدور وما اتقنته نالين من تمثيل، فهو ليس بدجال أو مشعوذ بل عالم أزهري كبير قرأ كثيرًا عن الجن، ويعلم أن بالفعل هناك جان في الأرض، وقد ذُكر ذلك في القرآن، بل قرأ أيضًا عمن سكنوا الأرض قبل آدم، ويعلم تاريخ الأرض جيدًا ومن يسكن فوقها أو تحتها أو في مائها، يعلم عن القرين، وكيف يعرف أخبار البشر أو القدر، وكيف للساحر أن يعلم الغيب، كل ذلك على علم به جيدًا لذا ذاع صيته كثيرًا ليس في التعامل مع تلك الحالات فحسب، بل وصل لمناظرته للدجالين والمدعين والرد عليهم في كثير من البرامج التلفزيونية، فهو موقن بأن ما بنالين حمل طبيعي حدث، فلا حمل إلا بوجود رجل أو مائه قد قذف فيها، وما فعلته أمامه رسخ في عقله أنها تكذب، لذا أصر على مقابلتها مرة ثانية، لعله يعرف أو يفهم أمرًا جديدًا غائبًا عنه، فمعلوماته المحدودة عن تفكير شباب هذا الجيل، واندماجهم مع روايات الرعب والشياطين وكتب وتحضير الأرواح، وعدم وضوح الرؤية أمامهم في مسألة العقيدة والاعتقاد؛ جعلتهم أقرب إلى الإلحاد أو الكفر، فكثير من المعلومات المغلوطة لو دخلت بعقل لا زال ينمو تؤدي إلى تهتكه وانفصاله عن بيئته ومجتمعه ودينه؛ لذا فنالين بالنسبة له حالة

يرغب في دراستها جيدًا، فهو لا يريد أن يفتح الأمر ليصبح حملَ كل ساقطة بادعاء بأنه من الجان دون إرادة منها.

في صباح اليوم التالي اتصل مهاب بممدوح يطلب منه أن يدعو الضابط عادل للحضور للقصر مرة ثانية لمتابعة القضية، قص مهاب على مسامع ممدوح ما حدث ليلة أمس بالكامل، لكنه لم يذكر أن نالين ادعت ذلك، بل أخبره أن الشيخ قال إن نالين لا يوجد بها مس، بل مجرد عين وحسد فقط.

أكد له أنه واثق تمام الثقة أن هناك جريمة ما حدثت لابنته، كل ما كان يدور بخلد مهاب أنَّ شخصًا ما قام بتخديرها ومن ثم قذف في فرجها حيواناته المنوية دون أن يمسها، فهو على يقين بأن ابنته تنفر من جسد الرجال، وإنها لن ولم تعط الفرصة لأحد أن يتحسس جسدها، وكأنها عملية معقدة، وليست معاشرة جنسية، لم يستمع مهاب إلى حديث الشيخ بل لم ينصت إلى كلماته، لقد أكد له أن ابنته كاذبه بل تتقن الكذب، ومع ذلك لم يجل بخاطره ولو لمرة واحده أنها ربما كانت كاذبة، وأن لها عشيق وهو سبب حملها؛ فعقله لا يصدق أن تكذب ابنته عليه يومًا، عقله مصر على أن الآخرين فقط من يتربصون به، من يريدون هدمه، لكنه لا يعلم أن الهدم دائمًا ما يأتي من الداخل.

حاول مهاب أن يجس نبض ممدوح في احتمالية إجراء عملية إجهاض لنالين، فهي لا تزال في شهرها الثاني؛ ومن ثم يقوم بعملية ترقيع لغشاء بكارتها، لكن المصيبة التي وقعت على رأس مهاب، التي أخبرها له ممدوح وهي أن نالين تعاني من ضعف عام وأنيميا حادة نتيجة لكثرة شربها الخمر والمخدرات ، وعملية كهذه قد تسبب لها مشاكل كثيرة نزيف أو غيره مما قد يجعل احتمالية تعرض حياتها للخطر أمرًا كبيرًا؛ فرفض مهاب على الفور هذا الأمر،

فمجرد شكة إبرة تصيب جسد نالين تصيبه بالذعر، كما أنه لا يعلم إن كان من قام بقذف حيواناته المنوية في فرجها صورها أم لا أصبحت الرؤية أمام مهاب غير واضحة المعالم.

طلب مهاب من ممدوح سرعة استقدام الضابط عادل؛ لمتابعة الأمر لعل هناك حلًا للقضية فيزوجها لمن فعل هذا بها، أو ينتقم منه أمام العالم فتظهر ابنته البريئة المجني عليها كملاك طاهر نجسته أفعاله السابقة.

حضر عادل سريعًا إلى قصر مهاب عند حلول الظهيرة، شعر بسعادة بالغة عندما سمع الخبر من ممدوح، كان هناك إصرار شديد من عادل على الدخول إلى قصر مهاب، كان يريد أن يدخل حياته وأعماله، يبدو بأنه كان يعلم الكثير عن مهاب وعالمه القذر؛ لذا عندما واتته الفرصة أن يراقب مهاب عن قرب؛ علَّه يأتي بدليل يودع به مهاب في السجن بقية عمره، إنه حس الضابط الماهر

جلس عادل مع مهاب فترة قاربت على الست ساعات، قص مهاب على مسامع عادل قصة نالين كاملة منذ البداية، حكى الكثير وقص كل شيء حتى حديث الشيخ، وأنه يعتقد أن نالين تدعي المس، قص عليه أفكار ممدوح، وكذلك ما يدور بعقله، لم يخبئ شيئًا قطّ.

استفسر عادل عن كل شيء يخص نالين وتعاملاتها وأصدقائها، أنشطتها كل شيء مهاب على علم به؛ فأجابه مهاب بكل ما يعلم.

لم يقتنع عادل كثيرًا بكلام مهاب أو إجابته على أسئلته.

مهاب والد نالين، وعين الأب كثيرًا لا ترى ما تقترفه قرة عينيه، بدأ عادل يحادث نفسه فهو يعلم عن عائلة مهاب ما لا يُتوقع؛ نظرًا لأنهم في دائرة خدمته، وأيضًا لأنه دائم الاهتمام بأمور رجل الأعمال العظيم مهاب.

بدأ عقل عادل يستفسر كيف لفتاة في بداية العشرينيات في عام ألفين وسبعة عشر، ترتدي ملابس ممزقة، تكاد تظهر جسدها كليةً.

كيف لفتاة تضع الوشوم على جسدها، تلك الوشوم الغريبة أشبه بوشوم عبدة الشيطان في بداية هذا القرن، تمتلك في حسابها البنكي ملايين تحت تصرفها، فلديها سيارة رياضية تخطى ثمنها خمسة ملايين، تربت في أسرة مفككة لا وجود للأم، والأب دائمًا خارج البيت، تدرس في مدارس دولية أغلب معلميها من دول أخرى، بعيدين كل البعد عن الدين والعادات الشرقية ، نزعو عنها مصريتها تدينها

الأمر الفج حقًا هو قضاؤها ليالٍ تعدت في بعض الأوقات الخمس عشرة ليلة، بعيدة عن والدها تبيت مع أصدقائها في تجمعات يختلط فيها الشباب بالبنات، يجتمعون يمارسون أنشطة مختلفة بدعاوى كثيرة غير مفهومة، أليس كل ذلك سببًا يفتح مجالًا للشك في أن نالين على علاقة بشاب أو أكثر.

حاول عادل أن يستفسر عمّا جال في خاطره من مهاب، لكن مهاب أجابه بتبريرات لكل شيء،

استمع عادل جيدًا إلى تبريرات مهاب جميعها، لكنه لم يقتنع بها بل زاد من شكه في نالين.

بعدما أنهى عادل حواره مع مهاب أخبره:

- لا تقلق سيدي فالأمر واضح جليًا أمامي، لقد مكثت فترة طويلة بعيدة عن البيت، ومن الممكن حقًا أن يكون قد فعل بها هذا الأمر، أن يُلقي فيها ماء رجل وهي في حالة تخدير كامل.

رد عليه مهاب والحسرة تملأ كلماته:

- أعلم ذلك يا عادل لكن استحلفك بالله أن يظل هذا الأمر سرًا بيننا- لا تقلق سيدي فنالين أختي، لكنني سأحتاج منك أمرًا صغيرًا.

- تفضل ما هو!! أتريد أموال؟ اطلب ألف.. مائة ألف.. خزائني تحت أمرك.

- لا سيدي ليس هذا بل أريد هاتفك.

- هاتفي لِمّ؟!

- لا شيء سيدي كل ما في الأمر أن هناك برنامج صغير في هاتفي، سأضعه في هاتفك، ومن ثم ستنقله أنت إلى هاتف نالين ولاوجا.

تعجب مهاب مما سمع قائلًا:

- نالين ولاوجا لِمَ، لاوجا!!! لقد جئت في أمر نالين وليس لاوجا.

عض عادل على شفتيه، ونظر إلى مهاب، ثم صمت بضع ثوان عبر بها عن غضبه، ولم يُلق بالًا بسؤال مهاب عن أمر لاوجا قائلاً:

- إنه برنامج تجسس غير موجود إلا لدينا في الداخلية، يستطيع أن يتغلغل في أي هاتف يعطينا كل شيء، وكأن هذا الهاتف في يدي.

كرر مهاب سؤاله مرة ثانية:

- أحقًا كل شيء؟ لكن وما علاقة لاوجا بالأمر؟

- بالطبع لاوجا بعيدة كل البعد عن مشكلة نالين، لكن من الممكن أن تتحادثا سويًا، فتحكي لها أمرًا ما، وأيضًا من الممكن أن تخبر

لاوجا الأمر لشخص آخر، لا تشغل بالك سيدي فهذا من صميم عملنا.

- لكن الهواتف الخاصة بهم عليها الحسابات البنكية ومن الممكن.....

- لا تكمل حديثك سيدي لا تقلق لن نستولي على الأموال ولا الحسابات البنكية.

- لا أقصد ذلك.

- سيدي إنه يستطيع أن يسجل مكالماتها الهاتفية ورسائل التواصل الاجتماعي ككل برامجها، وألعابها وصورها.

- صورها؟!!

- سيدي إن لم تكن ثقتك بنا كبيرة؛ فمن الأولى أن تستبعدني؛ وتبحث عن غيري.

- لا لا لك كل الثقة، هذا هاتفي تحت طوعك.

بالفعل أمسك عادل الهاتف؛ وقام بإرسال البرنامج، وشرح لمهاب كيفية تحميله على هاتف ابنتيه، والعجيب في أن هذا البرنامج بالفعل قام بتمكين نفسه في هاتف مهاب على الفور، بالرغم من كافة برامج الحماية الباهظة الثمن على الهاتف.

صعد مهاب في المساء إلى حجرة نالين كي يطمئن عليها؛ فوجدها مستلقية يساورها القلق؛ فلم يجيبها أحد عما وجده الشيخ بها.

طمأنها مهاب، وأخبرها أن ما بأحشائها ليس بفعل الجان، لكنها حقًا بها مس من جان عاشق؛

أمسك مهاب هاتفه وقام بتشغيل الفيديو الذي قام بتصويره لابنته خلسة أثناء معالجة الشيخ لها، حاولت نالين أن تتصنع الفزع أمام أبيها عندما شاهدت جسدًا ينتفض، حاولت أن تبعد عن تفكيره أنها كانت تتصنع ذلك بل أنها حقًا بها مس من الجان سبب لها الكثير من الألم عندما كان يحاول الشيخ إخراجه من جسدها.

أيقنت نالين أن ذلك الشيخ ما هو إلا دجال طامع في المال، وثقت تمام الثقة أن القرآن لا يعالج أحدًا، وأن كل ذلك مجرد خرافات لا أكثر، بدأ عقلها يفكر يستعيد عافيته هل حقا ذلك الجنين هو نتيجة جريمة ومن فعلها هل أحد من أصدقائها بدأ الشك يساورها.

في أثناء المحادثة بين مهاب ونالين استطاع مهاب أن يُدخل البرنامج في هاتفها مثلما علمه الضابط عادل.

انصرف مهاب من حجرة نالين؛ وتركها كي تستريح، ثم ذهب إلى لاوجا في غرفتها، وبالفعل أدخل برنامج التجسس على هاتفها، الآن أصبحت هواتف لاوجا ونالين ومهاب في يد عادل، بل زد على ذلك أي حديث في مكتب مهاب سيعلمه عادل جيدًا بعدما وضع عادل أجهزة تنصت أيضًا في مكتب مهاب.

بدأت المعلومات تأتي كالسيل على هاتف عادل؛ يطالعها ويستكشف ما بها من أسرار، صور.. أحاديث كثيرة، محادثات فارغة بها بضع كلمات فقط، يبدو بأن تلك المحادثات قد حُذفت نهائيًا.

ما لفت انتباه عادل هي تلك المحادثة الدائرة الآن بين لاوجا وزوجها نضال على برنامج الواتس آب، سألت لاوجا زوجها:

- لماذا لم تحضر إلى بيت أبي حتى الآن؟!

- ولماذا أحضر؟

- أنت زوجي ولم يمض على زواجنا أسبوع، أرجوك لا أريد أن يُفتضح أمري.

- حسنًا سأحضر إلى قصركم، وسأجلس مع أبيك، وسأحكي له كل شيء.

- أرجوك.. أتوسل إليك لا تفعل، يكفي ما حل بنالين.

- وماذا حل بنالين؟ هل هي مثلك؟

- لا تقل هذا، أنا لم أُخطئ، وأختي ليس بها شيء، إنها مريضة فقط.

- لم تخطئي!!! يا لك من عاهرة كبيرة أرجوك كفاك، ألم تأخذ كل ما تريد.. أوراقي وأموالي وممتلكاتي، حتى حقوقي تنازلت عنها لك، ماذا تريد مني بعد الآن؟!

- أموالك بضع ملايين، هل تسمين هذه أموال؟ هل هذا مناسب لما اقترفته؟!

أنت تعلم قبل أن تتزوجني أنني أحب عماد، لماذا صممت على الزواج بي! ألم يُخيل لك ولو لحظة أن أكون عشيقته.

- كنت أظن أن أموال أبيك قد استطاعت أن تقيّم سلوكك.

- أحقًا تظن أن أموال أبي قيمتني، أم تطمع فيها، ومع كل هذا لم أسمح له أن يحتل جسدي.

- يحتل جسدك...هههههه... أضحكتني يا لاوجا، أليست الممارسة الخلفية مع شخص ليس من دينك احتلال، إنها جريمة

شرعية قبل أن تكون فتنة كبرى، قد يخسر فيها والدك كل شيء ألم يأتي ببالك الله ولو للحظة.

- إنك لحقير وما علاقة الله بحبي لعماد هذا ما تعلمناه في مدرستنا أليس هذا ما كنا ندرسه لا حاكم فوق البشر لا حاكم فوق رغبات البشر حتى وإن كان المجتمع به نواقض أو قصور علينا أن لا نواجهها بل نتعامل معها حتى وإن صار الأمر في الخفاء، أنا لم أرتكب ذنبًا مجتمعيًا ولست بعاهرة .

- يبدو بأنك كنت طالبة ذكية نجيبة نفذتي كل ما تعلمتيه حرفيا لكنك تناسيتي أنك مسلمة لأب وأم مصريين مسلمين ألم تخشي إن علما بالأمر.

- دعك من كل هذا أنا أعلم أنك غير مقتنع بما تقول فعقليتنا واحدة لكن أتعجب حقًا كيف لك أن تكتشف هذا!! يبدو بأنك كنت تعلم شيئًا أو مارست تلك الأفعال كثيرًا حتى تستطيع أن تعلم ذلك.

- للمرة الثانية تحاولين إضحاكي، ألا تعلمين أنني درست كل تلك الأمور، وأن لي بحثًا فريدًا عن الشذوذ الجنسي، ذاكرتك دائمًا ما تخونك.

- ليس بحثًا ولكنني واثقة كل الثقة أنك كنت تعلم ما بيني وبين عماد.

- نعم أعلم لا أخفيك سرًا، تتذكرين عندما قابلتيه في حمام النادي المجاور لمدرستك، تتذكرين عندما قابلتيه في حجرة خاصة بمنزل معلمتك ماريا....

- ماذا تقول!! كيف لك أن تعرف كل هذا؟!

- يا لك من فاشلة، ويا له من حيوان، إن حالكما يرثى له حقًا، كل ما حدث في هاتين المناسبتين مسجل بالفيديو لدي.

- كيف؟!! من سجل تلك اللحظات.

- أيتها العاهرة النتنة ما كان يحدث بينكما كنت على علم به.

- لِمَ؟!! وهل عماد على علم بذلك؟ هل شارك في الأمر؟

- أيتها الفاشلة عماد كان صديقًا لي، وكان يخبرني بكل شيء عنك.

- أنا منهارة، عقلي أصابه الشلل التام ولا أستطيع التفكير.

- أيتها العاهرة البغيضة، دعي عقلك يفكر فقط كيف سيرضيني!!!

- إذن ماذا تريد الآن؟!

- أريد أسهمك في شركات أبيكِ، أريد عشرة ملايين دولار على الأقل، أريد كل هذه الإمبراطورية أن تكون بحوزتي قريبًا وقريبًا جدًا.

- وبعد أن تتملك كل هذا، هل ستطلقني؟!

- أطلقك؟ مستحيل بل ستكونين جارية لي.. تحت قدمي.

- هل حقًا أنت رجل؟ كيف تقبل على نفسك أن تُبقي على زوجتك وأنت تعلم أنها مارست الرذيلة مع شخص آخر والأدهى أن قلبها لا زال معه.

- ومن قال إنك ستكونين زوجتي؟ أنا قلت جاريتي، وهناك فرق، فالجواري يُطعن أسيادهن، والسيد يعلم أنها قد أطاعت سيدًا آخر غيره، أنتِ اخترتِ مصيرك أن تكوني جارية ولست حرة.

الفصل العاشر

تابع عادل المحادثة الدائرة بين لاوجا وزوجها، تابعها باهتمام وحيرة شديدين، بدأت الأسئلة تجول بخاطره، فمن هو عماد، ومن هي ماريا، ما علاقتهما بلاوجا، وهل هناك علاقة بينهما وبين قضية نالين، من الواضح أن ما حل بلاوجا كان بتخطيط من نضال؛ كي يبتزها؛ ليحصل على أموال أبيها، لكن هناك أمرًا غير مفهوم، فكيف لنضال أن يوقع بلاوجا في شباك عماد ويصورها ثم يتزوجها، لو كان حتى ليبتزها، إنه لأمر عجيب مريب غير مقبول منطقيًا.

قضية غريبة تفكير شيطاني من نضال، بدأ عادل يتفهم الأمر، بدأ يربط بين هذا وقصة نالين، يبدو بأن القصتين متشابهتين إلى حد ما، لاوجا تم اصطيادها من قبل زوجها وصورها مع رجل آخر في وضع مخل؛ كي يتزوجها ثم يحصل على أموال أبيها، ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا ما حدث مع نالين، لكن الأمر خرج عن السيطرة بعض الشيء، فشخص ما بمساعدة آخرين قذف فيها ماءه، وصورها ثم بعد ذلك بطريقة ما يأتي إلى مهاب أو إلى نالين؛ كي يبتزها؛ ليغنم من أموال مهاب، لكن لماذا لم يأتِ حتى الآن؟!! ومن هو؟ ومن ماريا؟!! ولماذا كانت تستضيف عماد ولاوجا بمنزلها؟!!!

يبدو بأن هناك أمورًا كثيرة ستظهر، يبدو بأن الأمر ليس باليسير، سأنتظر قليلًا علَّ هذا البرنامج العجيب يأتيني بالجواب سريعًا من هاتف نالين.

أنهت لاوجا حديثها مع زوجها عبر رسائل برنامج الواتساب، انهار عقلها قبل جسدها، بدأت تحادث نفسها تسأل عقلها لعله يجيبها، هل عماد حبيبها السابق كان مشاركًا لنضال في كل شيء

فعله؟! هل معلمتها ماريا مدرسة مادة الثقافة العامة بمدرستها الدولية السابقة كانت مشاركةً أيضًا في ابتزازها؟ مَن صورها؟ ومن أين أحضر نضال الفيديوهات!!!هل حقًا نضال صادق في قوله إن عماد أخبره بكل شيء.

قطعت لاوجا علاقتها نهائيًا بماريا منذ أن تركت مدرستها وذهبت إلى الجامعة، لم تكن تحب مادتها، كرهت حصتها، وكرهت كل شيء تفعله ماريا، أو تقوله وتخبر به طلابها، لم تكن تحضر حفلاتها التي كانت تقيمها للطلبة في منزلها، كانت تحضر فقط عندما كان عماد يصر على حضورها، كانت تستجيب إلى كل رغباته. زادت الهواجس بعقل لاوجا وكثُرت الأسئلة....

كيف سيصير حالها لو علم والدها بأمر حبيبها السابق وعلاقتها به؟ كيف سيكون حالها لو علم أيضًا ما أخذه منها زوجها من أموالها؟ وإلام ستؤول إليه أيامها القادمة مع زوجها؟ كيف سيصير الأمر؟!!! هل سيطلقها!! هل سينتقم منها ومن حبيبها السابق، الذي كان يعرفه تمام المعرفة، لكن هيهات أن يحاول أن ينتقم أو أن يفعل شيئًا، نضال يبتغي المال ولا شيء غيره، يستطيع أن يتنازل عن شرفه مقابل حفنة من المال لا أكثر.

كيف له بأن يتحدث عن عماد الأمريكي ذي الأصول اليهودية وعلاقته بلاوجا ابنة الملياردير مهاب، سيتحول بذلك الصراع إلى صراع المال والسلطة والسياسة، عندها سيتم التضحية بالجانب الأضعف نضال زوجها العزيز، فهو يعلم يقينًا أنه لن يقدر على شيء إلا مجرد ابتزازها للحصول على مزيد من الأموال لا أكثر.

هدأت لاوجا بعض الشيء بعدما أيقن عقلها أن نضال لن يقدر على فعل أي شيء لها، ذهبت إلى حجرة جدتها لعلها تهنأ ببضع لحظات من النوم في أحضانها قبل حلول الصباح.

طرقت لاوجا باب جدتها ففوجئت بنالين تفتح لها الباب وتستقبلها، يبدو بأن نالين سبقتها كي ترمي حمولتها على صدر جدتها؛ فلطالما استقبل صدر الجدة همومًا لا تعرفها، لكنها عالجتها بمجرد احتضانها لأحفادها.

- هيا لاوجا لتنضمي إلينا، لقد مر وقت طويل على تجمعنا معًا.

بتلك الكلمات استقبلت الجدة لاوجا بعدما لاحظت أن بعينيها همومًا أيقظتها طوال الليل، ارتمت لاوجا بأحضان جدتها تحاول أن تداري ذلك القلق الذي يساورها قائلةً:

- هل لي بأن أسألك سؤالًا يا جدتي؟

- تفضلي عزيزتي.

- لماذا أشعر بالأمان عندما أرتمي بأحضانك؟

قبل أن تجاوب الجدة على سؤالها ارتمت نالين هي الأخرى على الجانب الأخر من صدر جدتها؛ لتسألها نفس السؤال، فأجابت الجدة:

- إنه حضن الأم.

- لكنك لست أمنا أنت جدتنا.

- ضحكت الجدة من حديثهما في نفس الوقت لتقول:

- الأم ليست من حملت أو أرضعت، الأم من خافت واحتضنت وأحبت، مَنْ زرعت في قلبكما الحب، تلك هي الأم وليس غيرها.

تركت نالين حضن جدتها لتسألها مرة أخرى:

- هل حقًا والدتي كانت عاهرة وتركت...

وضعت الجدة يدها على فم نالين؛ لتمنعها من استكمال حديثها، وانفعلت لتقول:

- لا تكملي حديثك يا ابنتي؛ فأمك من أطهر نساء الأرض.

سألتها لاوجا بعدما تركت حضنها هي الأخرى:

- لكن والدي دائمًا ما يخبرنا أنها تركته من أجل رجل آخر.

- كل ذلك كذب وافتراء على الطاهرة، أمكم يا أحفادي آه على قلبي الذي انفطر من فعل ابني مهاب، أعلم أنه لم يتبق لي من العمر إلا القليل، أعلم أنني سأقابل ربي قريبًا.

ضحكت نالين ضحكة خفيفة بسخرية:

- هل حقًا ستقابلين الله جدتي!!

انفعلت الجدة واحمر وجهها:

- ماذا تقولين نالين لا أفهم حديثك، عما تلمحين؟!

وضعت لاوجا يدها على كتف جدتها وربتت عليه لتخبرها:

- لا تشغلي بالك جدتي، فنالين مرهقة وعقلها ليس بمكانه اليوم، وأنت يا نالين ليس هذا وقتًا لنناقش مثل تلك الأمور.

- حسنًا جدتي حسنًا لاوجا، لكنني أريد أن أعرف الحقيقة، حقيقة أمي، ولماذا يكرهها أبي؟ وهل حقًا تركته لتذهب مع عشيقها؟!

تنهدت الجدة وتناست قول نالين عن لقاء الله؛ لتخبرهما عن والدتهما وحقيقة أمرها:

- أمكما شهيرة كانت امرأة فاتنة الجمال، تشبهك يا نالين كثيرًا تحب الانطلاق والمرح، لكن ما أن تلمس يدها كتابًا إلا ويصيبها هدوء كامل وسكينة كطفلة صغيرة، عشقها للأدب والروايات جعلها تعيش في عالم آخر غير عالمنا القاسي، رسمت لنفسها ذلك العالم بحدائقه وموسيقاه وأشخاصه، رسمت لنفسها فارسًا وحلمت به، وتعايشت معه، تزوجت أول مرة جبرًا من والدها الذي أصّر على تزويجها لرجل فاحش الثراء.

رجل مادي بغيض بعيد كل البعد عن عقلها وعالمها الخيالي، أنجبت منه ولدًا جميلًا يُدعى كريم، كان يشبهها كثيرًا بعينه الزرقاوين ووجه الأبيض المستدير، كان لها كل السعادة، تناست به عالمها الموحش، بل جعلها تعود إلى عالمها الخيالي من جديد فسعدت به؛ وأسعدت كل من حولها بسعادتها، والسبب ابنها فلذة كبدها، وبعد مرور عامين على إنجابها كريم مات زوجها وترك لهما إرثًا كبيرًا، لها ولابنها بخلاف إرثها من والدها، الذي توفي بعد وفاة زوجها، وفي أقل من عام تعرف عليها والدكما مهاب، وقد كان في بداية حياته عندما شاهدها أول مرة وهي تخرج من سيارتها الفارهة أمام أحد النوادي الكبيرة؛ أعجبته سيارتها قبل مفاتنها؛ لذا قرر أن يتقرب منها، حاول بشتى الطرق المعتادة، ولم يصل لشيء.

تعرف على الطبيب ممدوح صديق العائلة المقرب، كان ممدوح طبيبها الخاص، وبمثابة ابن عمها الفقير، تقرب والدكما كثيرًا من ممدوح، وبدأ في تجميع المعلومات عنها شيئًا فشيئًا،علم كل شيء عنها، وعشقها ممدوح أيضًا، وحاول جاهدًا أن يتقرب منها، وأن يدخل إلى عالمها الخاص، تقدم لخطبتها والزواج منها بعد وفاة زوجها، لكنها رفضته رفضًا تامًا.

استطاع والدكما أن يصل إليها عن طريق ذلك العالم، استطاع أن يتغلغل داخله، رسم نفسه كفارس أوحد، شاب طويل القامة على وجهه الهيبة والحزم، مثقف، فقد قرأ الكثير من الكتب؛ كي يصل إلى داخل عقلها، فتنها بعلمه وقوته وشبابه ورقته، رسم كل شيء وأتقن صنيعه؛ ففاز بها، وتزوجها، مر عام وأنجبتك يا لاوجا، ثم عامان وأنجبتك يا نالين، وبعدها بستة أشهر بدأ والدكما في إثارة المشاكل، كان يريد أن يبعد كريم ابنها عنكما، عن حضن والدته، كان يريد أن ينفرد بها؛ كي يستولى على جميع أموالها، لدرجة أنه أخبرها أن كريم وهو ابن الست سنوات كان يتحرش بلاوجا جنسيًا، وهي في عامها الثاني، بدأت الأمور تزداد سوءًا، وبدأ زمام الأمور يخرج عن السيطرة، حتى إنه بمساعدة ممدوح وبعض الآفاقين معدومي الضمير استولى على أموال شهيرة وابنها كريم.

أودعها والدكما بمصحة نفسية، ماتت بعدها بعامين منتحرة في حجرتها، وأودع ابنها في ملجأ خارج حدود مصر، لا يعلم أحد عنه شيئًا حتى الآن.

انزعجت نالين ولاوجا من كلام الجدة؛ وبدت عليهما علامات الاستهجان والاستغراب من فعل والدهما، والطبيب ممدوح.

ضحكت لاوجا ضحكة صفراء بسخرية، تذكرت ما يفعله معها نضال حاليًا، يبدو بأنه لا يختلف عن أبيها كثيرًا، ولمَ لا فنضال يعتبر مهاب أباه الروحي.

ظلتا صامتتين لبضع لحظات، لاوجا ونالين كل واحدة منهن تحادث عقلها، أحقًا هذا هو أبي!! أحقًا هذا ملاكي الحارس، يا لها من خيبة، أين أخي، لقد ظلمهما أحن شخص عليّ، كيف لليد أن

تقسو وتحنو في الوقت نفسه، إنه المال ولا شيء غيره، يبدو حقًا أن ما بي الآن ما هو إلا نتيجة جمع المال.

قطع ذلك الصمت وذلك التفكير هاتف الجدة معلنًا موعد صلاة الفجر، تركتا الجدة وذهبت كل منهما إلى حجرتها بعدما أصابتهما الحقيقة بشلل مؤقت في تفكيرهما.

في الصباح عند حلول الظهيرة استقبل مهاب نضال بقصره، كان استقبالًا حارًا أشبه بلقاء الأب بالابن بعد طول غياب.

- مرحبًا نضال لقد افتقدتك كثيرًا.

- أهلًا بك والدي العزيز، الآن أستطيع أن أقول والدي؛ بعدما أصبحت زوج ابنتك.

- أضحكتني كثيرًا أتعلم ما هو سبب حبي لك وقبولي بزواجك من ابنتي؟

- أعتقد يا والدي أنى خادمك المطيع.

- للمرة الثانية تثير إعجابي، ثم إنني لا أزوج ابنتي لخادم، ولا أقربهم مني.

- إذن ما السبب؟

- السبب هو أنك تشبهني كثيرًا في شبابي، تجتمع في عقلك مهارات عجيبة إن دلت تدل على أنك فريد وعبقري.

- شهادة أعتز بها، كل ذلك تعلمته منك، لكن أود أن أذكرك بطلبي.

- وما طلبك؟

- مكانة زوج ابنتك.. هل سيظل هكذا يعمل كموظف في شركاتك؟

- موظف يا لا العجب، راتبك يقارب النصف مليون شهريا وتدعي بأنك موظف!!

- والدي العزيز ليس المال كل شيء، بل الجاه والسلطة، والمكانة هي من تأتي بالمال، هكذا تعلمت منك، وأنت تعلم جيدًا أنني خادمك المطيع، وولائي كله لك.

- ماذا تريد يا نضال؟

- إحدى شركاتك... أكون مديرها أو إن أمكن تسجل تلك الشركة باسم لاوجا، ومن ثمّ أدير أنا أموال زوجتي.

- تدير أموال زوجتك حقًا؟

- نعم.. أنت تعلم أنني حافظت عليها منذ أن أتمت عامها الثاني عشر، وحتى الآن أراقبها، وأختار لها أصدقاءها، وأبعدها عن طريق الطامعين في أموالك، أليس ذلك دليلا على أنني قادر على حمايتها بقية عمرها، أليست الشركة قليلة في بحر أموالك؟!

- بلى، معك كل الحق، أنت ابني، وأنا أحسنت تربيتك، إنك لولد صالح.

لكن خبرني لماذا عادت لاوجا سريعًا وابتعدت عن أحضانك؟! ماذا بك ألست رجلًا؟!

- بلى، أبي أخجل أن أتحدث في ذلك الأمر أمامك، لكن أنت تعلم خجل لاوجا ورفاهيتها ودلالها، وأنا لست همجيًا، ولا أقدر على أن أعصي لها أمرًا، إنها ابنتك، ابنة السيد مهاب؛ فتركتها تفعل ما تريد، لا أريد أن أغضبها أو أغضبك وأجبرها على شيء.

- دائمًا ما تثير إعجابي، أتعلم لو أغضبتها يومًا؛ ستكون نهايتك.

- أبي أنت تعلم أن حياتي رهن إشارتك، وغضب لاوجا سيف حاد ستقطع به رقبتي، أعدك أن ذلك السيف لن يُشهر أبدًا.

ضحك مهاب على معسول كلام نضال، ضحكا الاثنان لا تدري أي منهما يضحك على الآخر، لا تدري فهما توأمان لكن تأخرت ولادة نضال عن مهاب ثلاثين عامًا أو يزيد.

الفصل الحادي عشر

بدأت الأمور تتضح شيئا فشيئًا أمام عادل بعدما علم ما دار بين مهاب ونضال، أيقن أن غرض نضال هو جمع المال فقط، أيقن أيضًا أن هناك سرًا ما بداخل نالين بعدما شاهد الفيديو الخاص بنالين مع الشيخ.

اتصل على الفور بالشيخ وذهب لملاقاته في المسجد، شرح الشيخ لعادل ما توصل إليه وأنه يريد أن يفهم لمَ فعلت نالين ذلك ولماذا والدها لا يصدق أنها تكذب أو أنها تُخفي سرًا، طلب عادل من الشيخ أن يصر على ملاقاة نالين مرة أخرى ويحاول أن يستدرجها في الحديث لعله يجد حلًا للغز الذي يحيره .

بعدما غادر نضال البيت؛ انفرد كل شخص بحجرته، يرمي حموله على وسادته أو مكتبه، لاوجا غارقة فيما هو قادم، مصدومة في حبيبها السابق عماد، ولا تعلم إلى أي مدى سيطلب نضال منها من أموال أبيها،

أصبح مهاب مقيمًا بمكتبه طوال الوقت، لا يخرج منه، يباشر أعماله منه عبر هاتفه، أصبح مهاب وأعماله وكل ما يقوم به كتابًا مفتوحًا أمام عادل، عرف عنه كل شيء، أعماله القذرة، مضارباته في السوق، غسيل أموال وتهريب عملات، وغيره من الأعمال التي لو حوكم بها فسيقضي عمرًا فوق عمره في السجن، لكن كل هذا هباءً فعادل كان يعمل دون غطاءٍ رسمي، كان يتجسس على مهاب لنفسه فلا أحد يعلم بذلك.

يتواصل مهاب مع الضابط عادل كل يوم لعله يأتيه بخبر يريح قلبه، ربما يخبره من فعل هذا بابنته، ومَنْ كان يريد هدم إمبراطوريته، فأعداؤه لا يحصي لهم عددًا.

تركت نالين هواجس عقلها وتشتته، وأمسكت هاتفها لعلها تجد فيه ما يلهيها عما بخلدها، بدأت بالرد على بعض الرسائل التي تأتيها على مواقع التواصل الاجتماعي، فحسابها على موقع انستجرام يضاهي حسابات كبار المشاهير، فجمالها طاغ أخاذ.

ردت على الرسائل التي تأتيها من المعجبين، وعلى تعليقاتهم حتى وصلت إلى رسائل سارة؛

بدأ الحديث كالمعتاد بينهما، أصبح عادل يعلم كل ما فيه، حيث بدوره كان يسجل الحديث كاملًا بواسطة برامجه السرية وكأنه حاضر بينهما الآن.

بدأت سارة في إرسال الرسائل إلى نالين تسألها:

- أخبارك حبيبتي.

- أجابت نالين: أنا بخير لا شيء جديد.

- أريد أن أسألك سؤلًا؟

- تفضلي سارة

- لماذا لا يوجد لك حبيب ؟ أعلم أن لديك أصدقاء شبان كثر لكن أين حبيبك منهم؟

ولماذا يكون لدي حبيب ؟ حتى أعشقه؟ أصير عبدة له؟ لرغباته؟ أم أخطئ ويحتل جسدي؟

- إلما تلمحين أيتها المشاكسة!

- لا شيء.. دعي عقلك جانبًا

- الحب يا نالين شيء جميل ممتع حتى وإن صار هناك تلامس بين الجسد حتى وإن احتل جسدي مثلما فعلت أنا ألا تعتقدين لو اننا في مجتمع أخر الم يكن ذلك أمرًا اعتياديًا بل كان والديا رحبا بذلك أنا لم أخطئ يا نالين بل المجتمع من حولي هو من وضعني في مثل ذلك الموقف.

- أفٍ لكِ أصبحت أسمع صوت المدرسة ماريا في حديثك.

- يا لك من مغرورة كبيرة، عندي لك مفاجأة كبرى.

- ما هي؟ أحتاج فعلًا لخبر يسعدني.

- بعد ثلاثة أيام سيكون حفل الهالوين الخاص بمدرستنا، وسأذهب أنا وأختي الصغرى لامار، إنها في الصف الأول الثانوي الأن، فهل ستذهبين معنا؟

لم يدعوني أحد لها كما تعلمين، ولقد ابتعدت كليةً عن حفلات ماريا منذ أكثر من ستة أشهر، إنني أبغض تلك السيدة وكل تصرفاتها.

- أنا أيضًا لم يدعني أحد؛ لكن أخبرتني أختي الصغرى لامار أن أي شخص تعلم بالمدرسة يستطيع الدخول والمشاركة بالحفل، فقط احضري كارت تعريفك القديم.

- وهو كذلك، نذهب ربما نستمتع بعض الوقت، هل سيكون حفلًا كم اعتدنا في السابق، نجتمع في المدرسة ثم بالليل نذهب إلى بيت مدرسة الثقافة العامة ماريا؟

- لا أعلم، أنت تعلمين أنها كانت تخبرنا ذلك سرًا أثناء الحفل.

- أه أعلم ذلك، لكن هل ستذهبين إن دعتك؟ أشعر بالريبة عندما أدخل منزلها.

- أحقًا نالين تكرهين ما كانت تقوله وما كانت تجعلنا نفعله، لقد جلبت لنا السعادة!

- السعادة يا لك من عاهرة صغيرة هل هذه هي السعادة من وجهة نظرك؟!

- بالطبع هي السعادة، علمتنا كيف نحب، وكيف نعشق وكيف نتعامل مع الرجال.

- حقًا علمتنا كيف نحب أم علمتنا كيف نمارس الجنس دون أن يلاحظ أحد ذلك!

- ما كانت تفعله ليس جنسًا بل عشقًا وهيامًا.

- إذن لماذا تجاوزت حدودك؟ ولماذا لم تستمعي إلى نصائحها وتجاوزتها؟

- تجاوزتها يا نالين لأني عشقت حبيبي، وأنا الآن زوجته، هناك عقد ورقي بيننا.

- سارة حبيبتي لماذا لم يتقدم إليك حبيبك للزواج بك؟ لماذا لم يحادث أهلك؟

- هل تعتقدين أن أبي سيوافق عليه إن تقدم، لقد حدث ما حدث بيننا في آخر عام لنا بالسنة النهائية من الثانوية العامة، كنا في نظرهم صغارًا قُصّر.

- حقًا يعتقدون أننا صغار لا نقوى على الزواج، تعلمين أن ماريا أخبرتنا أن البنت في امريكا تفقد عذريتها في حفل جماعي عندما تنهي دراستها الثانوية.

- أعلم ذلك يا نالين وهذا ما حدث بيني وبين حبيبي، ولكن لا تقلقي اتفقت مع حبيبي على أنه سيتقدم للزواج بي عندما ننهي دراستنا الجامعية، عندها لن يعترض أبي فزوجي ابن رجل غني مشهور لن يُمانع أبي في ذلك.

- ألم تشُكي ولو للحظة يا سارة في أنه ربما يتملص منك.

لا أعتقد ذلك فهو يحبني ويعشقني، وأنا واثقة من ذلك حتى وإن حدث فلا أحد يعلم ما بيننا، سيكون الحل عملية ترقيع لغشائي فقط وهناك الكثير ممن يتمنون نظرة واحدة مني، أو من أموال أبي لا تقلقي.

- سارة ألا تخافين الذهاب إلى حفل ماريا، إن علم حبيبك أنكِ ذهبتِ إلى حفلها بمفردك.

- لا لن يغضب لقد عرضت عليه الأمر وأخبرني أنه لا مانع لديه من ذهابي ، وبالتأكيد هو سيذهب وسنتقابل هناك، أنت تعلمين أنه إن لم يذهب هو؛ فلن أنضم إليكم، يستحيل فسيطلقني.

- هههههه سيطلقك، أنت لست زوجته إنها مجرد كلمة واختلاط، الزواج ليس ورقة أو مستند رسمي، الزواج كلمة ووعد ودم أنت لا تعي شيئًا.

- بالفعل لا أعي أي شيء، نالين أود أن أحادثك هاتفيًا في أمر خاص، أنا متعبة وأريد أن أحادث أحدًا.

- ليس لدي مانع، لكن بعد ساعتين من الآن.

- جميل جدًا وفي خلال ذلك الوقت سأبعث لك مفاجأة أخرى.

- يبدو بأن مفاجآتك لن تنتهي.

- بالفعل نالي، سأرسل لك فيديو مُسجل لآخر حصة أعطتها ماريا للطلاب في المدرسة، وجزءًا خاصًا أيضًا كانت تعلمه للطلاب في بيتها.

- حقًا... وكيف حدث ذلك، لقد كانت هناك إجراءات مشددة لمنع تصويرها، وتسجيل تلك الحصص!

- أعلم ذلك لكن يبدو بأن الجيل الحالي يختلف كلية عنا، فأختي لامار هي من أحضرته لي، لا أعلم كيف تم تصويره، سأرسله إليك لتشاهديه.

- أرسليه وأنا في الانتظار.

أرسلت سارة الفيديو إلى نالين؛ لكي تشاهده، لكن نالين لم تشاهده، ولم تقم بتحميله، كان لديها نفور تام من أي شيء يخص ماريا، ففكرت في مشاهدته فيما بعد فليس لديها شغف حاليًا.

أما من قام بتحميله على الفور هو عادل؛ كي يشاهده ليعلم مَنْ هي ماريا وما علاقتها بلاوجا ونضال وعماد، ونالين ، استغرق عادل في تحميل الفيديو قرابة الساعة، لكنه يشاهده بل كان في انتظار تلك المحادثة المرتقبة بين نالين وسارة على الهاتف.

بعد مرور الساعتين اتصلت سارة بنالين تحادثها عن أمرها الخاص، بدأت نالين في السؤال عن أحوال سارة وعشيقها الذي تزوجته سرًا: ما بك يا سارة هل هناك أمر خاص لهذه الدرجة؟

- لا نالين بدأت أشعر بأمور غريبة، أحاول أن ابتعد عنها، لكنني أريد أن أسألك سؤلًا

- ماذا تريدين أن تعرفي يا سارة؟!

عندما سألتك هل لديك حبيب أجبتي بلا

- وما المشكلة في هذا؟

- المشكلة أن حبيبي أخبرني أن لديك حبيب ويدعي مالك!

- إنه لكذاب ومن يكون مالك هذا؟

- هو ليس بكذاب يا نالين أنا أيضًا بدأت أشك في أمرك خاصة بعدما شاهدت صورة مالك أنه نفس الشخص الذي رأيناه في أحد المولات وسلمتي عليه لقد شاهدت نظرتك إليه ووجدت لمعة غريبة في عينيك لم أشاهدها من قبل ومنذ تلك اللحظة وأنا أتذكره وأتذكر شكله مَن يكون مالك هذا؟ وهل حقًا تعشقينه؟ خبريني أنا بئر أسرارك.

- حسنًا لقد فاض بي الكيل من كتم أسراري بداخلي ولا أعلم أين أذهب بها، إنه فعلًا حبيبي هو من رأيتيه في المول معي لكن الغريب كيف عرف حبيبك به؟ إنه لأمر غريب!

- ولماذا تتعجبين؟

- لأنه لا أحد يعلم بهذه العلاقة غير ماريا فقط .

- حدثيني عنه حديثيني عن مَن ملك قلبك هل أحبك مالك فعلًا؟ هل عشقك؟ وأين هو؟ لماذا لم نشاهده؟ هل ابتعد عنك؟

- هو لم يبتعد يا سارة، فقد غادر لاستكمال دراسته في الخارج، ومن ثم سيعود مرة أخرى.

- نالين أخبريني الي أي مدي وصلة علاقتكما هل احتل جسدك فتخافين ان يفتضح امرك

- لا يا سارة لم يحدث، لقد مارسنا كل شيء معًا حتى الجماع الخلفي، لكن الجماع كما الأزواج لم يحدث، لقد كنت اتبع كل تعاليم ماريا حتى لا يحدث الحمل، أو يُهتك غشاء بكارتي.

- لكن أعتقد أن الرجال دائمًا ما يتطلعون إلى الجماع الطبيعي، ألم تشُكي ولو للحظة أنه فارقك لأنه لم يستطع أن يحصل على ما يصبو إليه كل الرجال.

- سارة كفي عن حديثك الممل هذا، مالك ليس كباقي الرجال؛ ولهذا أنا الذي اخترته.

- كيف اخترته خبريني حبيبتي.

ضحكت نالين وبدأت في الحديث عن مالك حبيبها، وعن أول لقاء حدث بينهما:

لا أعلم يا سارة إن كنت أنا التي اخترته أم هو، أو أن هناك أحدًا قرر أن نصبح حبيبين، فقد حدثت أمور عجيبة، أنت تعلمين أنني أعشق شوكولاتة (الفوغ هوت) وتعلمين أنها لا تباع إلا في متجر واحد بمصر، وعندما كنت أذهب لأشتريها؛ أجده هناك، يشتريها هو الآخر، ليست مرة أو مرتين، بل خمس مرات، العجيب ليس في كونه يحبها؛ لكن العجيب أني أجده هناك كلما ذهبت لأشتريها، كيف له أن يعلم أنني ذاهبة؟ لا أعلم ليس هذا فحسب، تعرفين الأيس كريم الذي أعشقه (المورلي جيلاتو) يعشقه هو الآخر بل يتناوله مثلما أتناوله بالتفصيل، أتناول ملعقة من هذا الجانب، ثم أقوم بتدوير الكأس للجانب الآخر، فأتناول منها ملعقة، ثم أديرها على الجانب الآخر فآخذ ملعقة ثالثة وهكذا، أثار إعجابي، بل جعل الريبة تسري في جسدي، كاد الفضول يقتلني، لا أعرف من هو، ومن يكون.

راقبت تحركاته وتصرفاته جيدًا؛ وجدته يتصرف مثلي كما لو أننا شخص واحد، العجيب أن عينه لم تنظر إليّ، لم تراقبني، لا تعرفني، فكيف عرف كل شيء عني!!

عندما أفكر به كنت أجده أمامي في كل مكان حتى في المدرسة، حتى إنني وجدته مرة في حديقة منزلنا؛ عندها حاولت الذهاب إليه، أردت التحدث إليه، لكنه اختفى فجأة، لا أعرف إلى أين ذهب، كان لدي إصرار كبير على مخاطبته، على معرفة من هو، ومن يكون، كنت أعتقد أنه قريني، لكنه ظهر في صورة رجل، ذهبت إليه عندما وجدته في أحد المطاعم المحببة لقلبي، تحدثت معه كان لا يعلم عني شيئًا، لم يلاحظ حتى تواجدي، لكنه أعجب بي، بجمالي، بإصراري عليه.

قال لي إن أفضل شيء في علاقتنا أنني كنت من أحميها، ومَنْ أخاف عليها، صرنا بعدها أصدقاءً، ثم تحولت الصداقة إلى حب فعشق، لكن الغريب أنه كان يعرف ماريا، وكان على علاقة جيدة بها، ويحضر بعض حفلاتها؛ فتقابلنا هناك لبعض الوقت، تعلمين يا سارة أن أفضل العشق هو عشق حدث بعد صداقه؛ فالصديق هو روحك تنظرين بعينه فترين نفسك، تتحدثين معه كأنه عقلك، لذا عندما عشقته كان لي روحًا كان لي طيفًا، كان لي نسيمًا فاق كل الحدود بحنانه ورقته.

تعلمين أنني من طلبت منه أول قُبلة، تعلمين أنني من طلبت أحضانه، كنت أطلب أي شيء فيفعله لي، لم يطلب أي شيء غير أمر واحد أن أظل بجانبه طول الوقت وألا أفارقه أبدًا.

تنهدت سارة أحست بشيء ما في صدرها، شعرت بأن عشيقها ليس رجلاً شعرت أنها لم تحبه ولم يحبها، جال بخاطرها عندما

سمعت حديث نالين أن ما بينها وبين عشيقها ما هو إلا حب للشهوة والجسد فقط.

هنأت سارة نالين على جمال حبها، وعلى حسن اختيارها لمن وهبته قلبها، طلبت منها أن تنام الآن، فلا تريد أن تسمع حديثًا آخر بعدما امتعتها نالين بحديثها عن حبيبها، لعلها تنام وتحلم بمن يسعدها مثلما فعل مالك مع حبيبته نالين، واتفقتا على اللقاء بعد ثلاث أيام في المدرسة في حفل الهالوين.

أنهت نالين وسارة حديثهما، نامتا وهدأت أنفاسهما لكن أنفاس الضابط عادل ظلت ساهرة، تفكر في الحديث الذي دار بينهما، بل إنه أعاد مراجعة المحادثات النصية التي كانت بينهما، وسمع المحادثة الهاتفية أكثر من مرة، حاول أن يستجمع أفكاره مجددًا، عقله يكاد يُجن، سمع اسم ماريا في حديث لاوجا ونضال، وسمعه في حديث نالين وسارة؛ أيقن أنها سبب تلك الجرائم، أيقن أنها مفتاح حل القضية لكن من هي ومن تكون.

تذكر الفيديو الذي أرسلته سارة إلى نالين؛ فقام على الفور بتشغيله على حاسوبه، لعله يعلم من هي ماريا وما هي قصتها مع الجميع.

ضغط عادل على علامة تشغيل الفيديو المثلثية وبدأ العرض.....

معلمةقف في وسط فصل دراسي كبير، به قرابة أربعة عشر طالبًا وطالبة، تقف في وسطهم تتحدث إليهم:

- أصدقائي الأعزاء أنا معلمتكم ماريا، علمون أن هذه المؤسسة التعليمية ليس الغرض منها فقط تعليمكم المواد الدراسية للحصول على مجموع كبير يؤهلكم للجامعة، فهذا أمر يسير، لكن كما تعلمون أن هذه المؤسسة أكبر أهدافها في الأساس هو تأهيل طلابها

للاختلاط بالمجتمعات الأوربية والأمريكية، ومعرفة طرق عيشهم، وطبيعة حياتهم، بل جعلكم تندمجون في تلك المجتمعات سريعًا، وكما تعلمون أنه في صيف كل عام يذهب مجموعة من الشباب للعيش مع إحدى الأسر الأمريكية، للتأقلم على حياتهم؛ لذا فإني كماريا ستكون مادتي عبارة عن إجابة سؤال "كيف تنسلخ من جلدتك لعربية، لتتحول إلى شاب أوربي مثقف حر متفتح" ودرس اليوم عن الجهاز التناسلي للذكر والأنثى.

كان ذلك بداية الفيديو الخاص الذي أرسلته سارة، وكانت تلك هي ماريا، بعدها أحضرت مجسمات تشبه جسم الإنسان، وبدأت تشرح عليه الجهاز التناسلي للذكر والأنثى بكافة التفاصيل الممكنة، بل شرحت كيف يحدث الحمل، وطرق الالتقاء بين الذكر والأنثى، وما هي الطرق التي يمنع بها الحمل، بل احضرت وسائل حقيقية لمنع الحمل لزيادة الفهم عند الطلاب، استمر الشرح لبعض الوقت حتى حان وقت الأسئلة من الطلبة؛ وقفت إحدى الطالبات تسأل معلمتها:

هل لابد لكل البنات أن تتزوج، وأن تحمل وتنجب، اعتقد يا معلمتي أنه ليس هذا بالأمر الضروري فأنا لا أحبذه.

- بالطبع صغيرتي ليس فرضًا على كل بنت أن تنجب أو تتزوج، لكن لا يوجد بنت واحدة تستطيع أن تستغني عن ممارسة حياتها الطبيعية مع الرجل؛ فلديها محفز داخلي هو الهرمونات، ناهيكِ عن المحفزات الخارجية من عنفوان الشباب وغيره، وإلا فما فائدة جهازك التناسلي!!

وقف أحد الشباب يسأل معلمته سؤالًا آخر:

- أعتقد أن جهازها التناسلي لا فائدة منه، فإن كانت كل فائدته هي ممارسة الجنس مع رجل، فما بالك بممارسة الجنس بين الرجال وبعضهم، أعلم أن هذا مباح في المجتمعات الغربية المتحضرة.

هنا ضحك كل مَنْ بالفصل تقريبًا قبل أن تجيب ماريا على سؤاله...

- الجهاز التناسلي للأنثى وُجد للحمل وإرضاع الجنين، أما إمتاع الجسد فهذا فن، ولا يمكن اختزال المتعة في العلاقة الجنسية فقط؛ فكل خلايا الجسد يتم إمتاعها، فأنتم تعلمون أن هرمونات الذكورة والأنوثة تسري في الجسد كله؛ لذا لابد من إمتاع كافة الجسد والتمتع بجسد الشخص الآخر ككل أيًا كان ذكر أم أنثى.

هنا امتعض كل من بالفصل، فهم لا يفهمون ماذا تقول، لا يفهمون غرضها، يريدون مزيدًا من الشرح والتوضيح، لكن ماريا لم تجب، بل أخبرتهم أن الدرس قد انتهى ولا مزيد من الأسئلة، وعليهم المغادرة فورًا؛ اسودت الشاشة أمام عادل قبل أن تظهر مرة أخرى....

مجموعة من الشباب والفتيات غير واضحي الملامح، ولا يزيد عددهم عن ستة أفراد، تقف أمامهم سيدة تشبه ماريا بلباس أشبه بلباس النوم، بحجرة غير واضحة المعالم؛ نظرًا للإضاءة الخافتة، فلا تظهر ملامح الأشخاص جيدًا أوما يدور بينهم، بل كان الصوت هو المسموع جيدًا فكانت تخبرهم:

التقبيل هو بداية أي علاقة، هو أحد طرق السعادة، فهو سر التواصل بين الجسدين، فمع القُبلة تندمج خلايا الأجساد؛ فتزيد الهرمونات الجنسية لكلا الطرفين، فيبدأ التلامس بين الجسدين، ثم يندمجا، بعدها يستطيع كل شخص أن يُمتع حبيبه أيًا كان وكما

يرغب، فالمتعة مشتركة لا تقتصر على شخص واحد، الحب الحقيقي يعتمد على كيفية إمتاع شريكك قبل إمتاع نفسك، كما تعلمون كل شيء متاح مباح إلا الالتقاء من الأمام بين الشاب والفتاة، فهناك غشاء إن تم النقر عليه فسيتمزق، وهذا ليس شيئًا لكن الأمر الحقيقي الذي لابد أن نخاف منه، هو الحمل كما تعلمون.

إنكم في مجتمع شرقي، ولابد أن نتعامل مع ذلك المجتمع بكل حرص، ليس هذا وقتًا كي نحارب أفكاره أو أن نواجهه، بل إن المهم جدًا هو التفاعل مع ذلك المجتمع، وهدم أفكاره فكرة وراء فكرة، لكن إياكم والمواجهة الآن.

انتهى الصوت، وبدأ الأشخاص في الفيديو بالتقرب من بعضهم، تبادلوا القبل، وانتهى الفيديو واسودت الشاشة أمام عادل، بل اسودت الدنيا أمام عينيه.

"ما هذا الذي رأه؟ أيُعقل هذا!! هل هذا هو التعليم في إحدى المؤسسات الكبرى؟" عقله بدأ يُجن، لكن سرعان ما عاد إلى صوابه مجددًا.

أخبره عقله: أنت ضابط شرطة وكل يوم تقابل مثل هؤلاء الشباب أمام عينيك، وجرائمهم الدائمة ما بين مخدرات وسكر وعربدة، حفلات جنس وحفلات عبدة شياطين، وعلاقات شذوذ، حتى إنهم بدأوا يجاهرون بها أمام العالم وفي مواقع التواصل الاجتماعي، فمن أين أتى كل ذلك التبجح؟!!!

أيقن عادل أن مالك عشيق نالين له علاقة مباشرة بالجنين الذي في أحشائها، فإما أن تكون نالين أعطته نفسها فحملت منه وتخاف أن يفتضح أمر حبيبها، فيسبب له والدها المصائب، أو ربما يقتله؛ لذلك أنكرت أن يكون قد مسها أو أن مالك هذا احتل جسدها عاشرها

مثل الأزواج دون أن تدري؛ ليبتزها مثلما فعل نضال، ربما، فالكل يعرف ماريا أو ربما ماريا هي من تقود ذلك التشكيل الإجرامي؛ لتصوير الفتيات ومن ثم ابتزازهن أو ابتزاز أهاليهن للحصول على الكثير من الأموال لكن لماذا غشاء بكارتها سليم .

عادل رجل واقعي لا يعترف بالصدف أو المفاجآت أو حتى توارد الأفكار، ففكرة تواجد مالك كثيرًا أمام نالين وأنه يحب ما تحب، ويتصرف مثلما تتصرف لم تنطو عليه، بل زادت من شكه في مالك، وأنه سبب تلك المشكلة، خاصة بعدما علم أنه على علاقة وطيدة بماريا.

الفصل الثاني عشر

في صباح اليوم التالي فوجئ مهاب باتصال من الشيخ المعالج، الذي حضر لمعالجة نالين سابقًا؛

اتصل ليبلغ مهاب بأنه يود الحضور ليقابل نالين ويتحدث معها، بناء على طلبه المسبق له؛ لعله يجد في حديثها أمرًا يخبره لماذا تدعي نالين أن بها مَسًّا من الجان!!

ود الشيخ في محادثتها لعله يفهم ما هو قادم في عقل الشباب وما هو الجديد في حياتهم ومدى تأثير تشبثهم بثقافات الغرب، يود معرفة تأثير روايات الرعب وكتب السحر والشعوذة، وبرامج التلفاز ومقاطع فيديو اليوتيوب عن تحضير الأرواح، وغيرها من البرامج التي تتحدث عن الجن وعن أعمالهم السفلية، عما سكن الأرض قبل البشر، عن أقوام الجن والبن وغيرها.

في بادئ الأمر رفض مهاب أن يكون بين الشيخ ونالين موعدًا في القريب، بل قام بتأجيله إلا أن أمرًا جال بخاطره فجأة بعدما أنهى اتصاله بالشيخ، فما المانع من أن يجتمع الشيخ بها؛ فمن الممكن أن يكون في اللقاء أمرٌ مهمٌ جديد.

اتصل مهاب بالضابط عادل يستشيره في الأمر، رد عليه عادل على الفور:

لا مانع لعل في حديثه معها يتضح الأمر، اطلب حضوره اليوم، ودعه يقابل نالين ويحادثها، لكن لا تخبر نالين بموعد قدومه، بل اجعلها مفاجأة لها، بعدها من الممكن أن يتحدث الشيخ إليك، ويخبرك بما دار بينهما، ثم تخبرني أنت بما حدثك الشيخ.

استجاب مهاب لأوامر عادل؛ واتصل بالشيخ ورتب له الموعد في مساء اليوم، ولم يخطر ببال مهاب أن عادل والشيخ على اتفاق مسبق بينهما وأنه طلب أن يكون الاجتماع بالمكتب؛ كي يسمع كل حديثهما، لكنه أخبر مهاب أن يستفهم من الشيخ عما دار بينه وبين نالين، ومن ثم يخبره هو؛ حتى لا يشك مهاب أن عادل يتجسس عليه وعلى ما يدور بمكتبه

حضر الشيخ بلباسه الأزهري المعتاد وعمامته، وبعدما استقبله مهاب أحسن استقبال؛ طلب من الخادمة أن تنادي على نالين وتحضرها إلى مكتبه، ولا تخبرها عن تواجد الشيخ معه بالأسفل،

حضرت نالين بلباس نومها الرقيق شبه العاري، تفاجأت بوجود الشيخ، مما سبب لها ضيقًا عندما شاهدته مع والدها، لمح كل من مهاب والشيخ ذلك الضيق الذي ظهر على وجهها.

احتضنها مهاب وأحضر (الروب) الخاص به وغطى جسدها، بعدما لمح عين الشيخ تتوارى خجلًا عندما شاهد نالين بهذا المنظر أمامه.

طلب مهاب من نالين أن تجلس مع الشيخ؛ لأنه يريد أن يحادثها في بعض الأمور بعد الجلسة السابقة، وأفهمها أن الشيخ يعتقد أن ما بها ما هو إلا غيرة صغيرة من بعض الجان أصابها بانهيار عصبي فقط لا غير.

فوجئ الشيخ بأن مهاب يستأذنهما في الانصراف؛ لأن هناك أمورًا أخرى يريد أن يتابعها،

اندهش الشيخ كثيرًا من ابتسامة مهاب عندما هم بالانصراف إلى الخارج، نالين والشيخ وحدهما في مكتب مهاب وجهًا لوجه،

نالين واقفة أمام الشيخ الجالس على كرسيه في حجرة مهاب، بعدما ألبسها والدها (الروب) الخاص به. نزعته نالين عن جسدها؛ لتقف أمام الشيخ بلباسها الحريري الشفاف؛ بدأت عين الشيخ تتوارى خجلًا منها، طلب منها أن تعيد لبس (روب أبيها) لكنها رفضت وأصرت على أنه إن كان يريد الاستمرار في الاجتماع معها، فعليه تقبلها كما هي.

وافق الشيخ وطلب منها أن تجلس، جلست أمامه واضعةً فخذها على الآخر؛ فتعريا تمامًا، نظر الشيخ إلى عين نالين التي كانت تنظر إلى عينه؛ فوجد في نظرتها ابتسامة سخرية، ترك الشيخ عينيها وتطلع إلى جسدها فوجدها تهز ساقيها....

اعتدل الشيخ بنظره مرة أخرى ليواجه وجه نالين، وتغيرت ملامحه إلى غضب شديدٍ، حاول أن يبعد نظرات الاستهجان من وجه نالين، سائلًا إياها:

- هل تعتقدي يا نالين أن كل رجال الدين لديهم كبت جنسي ينفجر مرة واحدة إن رأى فخذًا عارية تهتز لفتاة عشرينية ناصعة البياض؟!!

تنبهت لقوله واعتدلت في جلستها، وتغيرت ملامحها؛ لتخبر الشيخ:

- هل تظن حقًا إنني أريد أن أثير ذلك الكبت في داخلك؟!

- وهل تعتقدين حقًا أن لدي كبتًا؟!

- بالطبع فتلك العمامة التي على رأسك، التي تدعي بها العفة ما هي إلا صنم وضعته لتستعبد بها هرموناتك.

- هل كل من يعبد الله يصنع أصنامًا يستعبد بها جسده، هل تعلمين أن من شروط التوحيد الحق عدم إشراك أي شيء في العبودية لله.

- وهل تعتقد أنني عبدة؟! أنا حرة، ولدت بحريتي وسأعيش واتعايش بحريتي.

- لقد خلقنا أحرارًا يا نالين، لكن العبادة هي طاعة مَنْ خلقنا، ولا نعصيه فيما نهانا عنه.

- دعك من هذا الكلام وأخبرني لماذا جئت؟

- جئت من أجلك.

- من أجلي!! لا أظن، لقد قلت إنه ليس بي شيء له علاقة بالجان، فلماذا إذن تحضر مرة أخرى؟

- حضرت لأسألك سؤلًا واحدًا:

- وما هو؟

- لماذا تصنعت أن بك مَسًّا من الجن؟!

- عجبت لأمرك أيها الشيخ، تقول إنه ليس بي مس، وتدعي أني أكذب، وأني أدعي أن بي مَسًّا من الشيطان، فلما كل هذا؟!

- إذن من أين أتى ذلك الجنين؟

غضبت نالين وبدا على ملامحها التوتر؛ فلم تكن تعلم أن الشيخ على علم بحملها، فقامت واقفةً من على كرسيها، وترجلت بضع خطوات في الحجرة، وأعطت ظهرها للشيخ، وصمتت لبرهة قبل أن يستكمل الشيخ حديثه مرة أخرى.

- تظنين أنني ساحر أو دجال، فحدود علمي أنك لا تعتقدين بأنني شيخ عالم، وهناك فرق بين الثلاث، ألم يخطر ببالك ولو للحظة كوني ساحر حقًا مثل السحرة الذين تقرئين عنهم، وأنني على استطاعة أن أكشف أمرك أمام أبيك وأخبره من أين أتى ذلك الجنين؟! ألم يساورك الشك ولو لمرة واحدة أن قرينك قد أخبرني كل شيء عنك!!

استدارت نالين باتجاه الشيخ واقتربت منه، حتى قاربت أنفاسها من أنفاسه، وأمسكت يده وقالت:

سيدي إن كنت حقًا تعتقد أنني أدعي ذلك، وأنا حقًا قمت بتمثيل ذلك الدور جيدًا فلماذا لا تخبرني وتخبر والدي عمن فعل بي ذلك؟!

ابتعد الشيخ بضع خطوات عن أنفاس نالين ليخبرها:

ألا تعلمين من فعل بك هذا؟ صغيرتي أنا لست بدجال أو ساحر، أنا عالم دين ليس إلا، ما أظهرته أمامي كان ادعاءً، لكنني لا أعلم ولا أستطيع أن أعلم الغيب.

- بالطبع لا أعلم شيئًا سيدي الشيخ، لا أعلم أي شيء، فحقًا لم أمارس الجنس مع أي شاب، ولم ينقر غشائي أي شاب أبدًا.

- وما علاقة الغشاء والنقر عليه بالحمل؟!

ضحكت نالين ضحكة بسخرية مفزعة من كلام الشيخ لتخبره:

- وهل يحدث حمل إلا إذا تم النقر عليه بواسطة رجل؟! هذا ما أعرفه، وهذا ما تعلمته في مدرستي من معلمتي ماريا.

- ماريا؟!! من تكون هذه؟

- إنها مدرسة مادة الثقافة العامة في مدرستي الدولية السابقة، أخبرتنا بكل شيء عن الجنس وعن العلاقات المتعددة بين البشر وعن ثقافات العالم ككل.

- لا أفهم شيئًا منك، أو عن محتوى ما تعلمه لك، فلم يكن في تعليمي مثل ذلك.

- لا عليك دعك منها، دعك من كل شيء، أنا وأنت كل من عالم آخر، وليس هذا وقتًا للتعارف.

- صغيرتي ما أعلمه جيدًا أن الحمل يحدث إن التقى ماء الرجل ببويضة الأنثى، ولا علاقة للغشاء بهذا الأمر، بل إنه غشاء إسفنجي يسمح بمرور السوائل، ألا يسمح بمرور الدماء في فترة الحيض، فلماذا لا يسمح بمرور ماء الرجل؟!

- ماذا تقول؟! ماذا تريد أن تخبرني، أنا لا أفهم مرادك؟!

- أود أن أسألك سؤالًا يا نالين.

- تفضل أيها الشيخ.

- هل اقترب منك رجل؟! هل مارست أي أنواع الحب أو الجنس بعيدًا عن مكان غشائك؟!

نظرت نالين إلى الشيخ وصمتت ولم تُجب، بل ابتعدت بنظرها عنه، وأسرعت وغادرت المكان على الفور، وصعدت إلى غرفتها ونامت على سريرها تبكي بكاءً حارًا.

أسرع مهاب إلى الشيخ يمد عصاه، بدا على ملامحه الانزعاج والتوتر، سأل الشيخ عن نالين وما بها، لم يجبه الشيخ، ولم تنبس شفتاه بكلمة واحدة، حاول اللحاق بنالين، لكن الشيخ أمسكه من يده وأجلسه أمامه، طلب منه وترجاه أن يترك نالين بمفردها بعض الوقت، وأنها عاجلًا أم آجلاً ستحكي له كل شيء مر بها، وترجاه مرة أخرى بل كرر كلامه أكثر من مره، إياك إياك أن تتفوه بهذا الأمر أمامها، إياك أن تسألها، بل تعامل معها بلطف، تعامل معها على إنها فتاة صالحة، بعدها ستعود هي إلى أحضانك لتتحدث إليك.

تركه الشيخ وانصرف، ترك الشكوك تنهش ذهنه، بعدها اتصل بعادل يخبره بما حدث؛ فنصحه عادل أن ينفذ أوامر الشيخ بالحرف، ولا يجادل مما أصاب مهاب بالحسرة على حاله، وما آلت إليه أموره بسبب ابنته وفعلها، فلقد أعتقد أنه أصبح عبدًا لكل شخص يحاول مساعدته.

الفصل الثالث عشر

إنه الواحد والثلاثون من شهر أكتوبر، عيد الهالوين العالمي، موعد الحفل المنتظر، في كل عام يتم دعوة الطلاب القدامى إلى المدرسة للاحتفال مع الطلاب الجدد والمدرسين؛ لبث روح الانتماء إلى المدرسة والتأكيد على أفكارها المتحررة.

الغريب أن لاوجا لم تكن تحضر الحفلات على الإطلاق، وبالرغم من أن لاوجا ونالين تعلمتا في نفس المدرسة، إلا أنهما لم تجتمعا معًا في أي حفل سواء كان وقت دراستهما بالمدرسة أو بعد انتهاء دراستهما بها والالتحاق بالجامعة، فلاوجا كانت تكره الحفلات، أما نالين كانت تحضر لكن على فترات متباعدة.

استعدت نالين جيدًا لهذا اليوم، بدا لديها إصرار تام على الحضور، بل على حضور حفل ماريا بعدما استمعت إلى الشيخ الذي هيأ لعقلها أن حبيبها مالك قد يكون سببا فيما هي فيه ، فأرادت الحضور لعلها تعلم شيئًا أو تخبرها ماريا بالحقيقة، أو ربما تتفاجأ بمالك في الحفل.

أحضرت كل من سارة ونالين الأزياء الخاصة بالاحتفال، ارتديتا أزياء تنكرية بسيطة، ارتدت نالين زي فتاة فقيرة بملابس ممزقة، حملت صندوقًا صغيرًا عُلق على كتفيها وخلف رقبتها؛ ليتدلى أمام صدرها، ملأته بالحلوى كي تسعد به الأطفال الصغار في مدرستها، وكذلك فعلت سارة الشيء نفسه، ارتدت ملابس فتاة فقيرة بصندوقها الصغير...

لم يترك الضابط عادل الأمر يمر مرور الكرام؛ بل استعد جيدًا لهذا الاحتفال؛ عقل عادل يوقن أن كل ما حدث بسبب ماريا؛ لذا لزم عليه حضور الحفل، لكن كيف وهو شخص غير مرحب به في هذا الاحتفال.

استطاع عادل أن يقوم بتهكير كاميرات المراقبة الخاصة بالمدرسة بمساعدة صديق له في إدارة الأمن الوطني، فقد مدَّه ببعض المعدات الخاصة بالتجسس، بل جند معه مهندسًا متخصصًا من إدارة الأمن الوطني، حاول عادل بمساعدة صديقة والمهندس بزرع أجهزة تجسس ببيت ماريا بعدما غادرت في اتجاها إلى المدرسة لكنهم فوجئوا بوجود كاميرات مراقبة بداخل منزلها منها ما هو ظاهر بالخارج أمام منزلها ومنها ما هو مخفي بداخل حجرات منزلها بل في حجرة نومها فاستطاع المهندس بالدخول على السيسستم الخاص بكاميرات المراقبة واستطاع تحميل الفيديوهات المسجلة على السيسستم ومن ثم مراقبة المنزل من الداخل والخارج لكنه لم يطلع عادل على ما وجده من فيديوهات بل قام مباشرة بإرسالها إلى صديق عادل في إدارة الأمن الوطني.

في الموعد المحدد عند الساعة العاشرة من صباح يوم الاحتفال وأمام باب المدرسة الدولية؛ تقابلت كل من نالين وسارة، ومعهما أخت سارة الصغرى لامار، والكثير من الطلاب المنتظرين فتح باب المدرسة. أُغلق الباب لدواعي أمنية مشددة بسبب حفل الهالوين.

جميع من حضر الاحتفال ارتدى أزياءً تنكرية اتسمت بمظاهر الرعب والزومي ،والمستمدة من أفلام الرعب الأمريكي وقصص الشياطين وغيرها، ومن الملابس الغريبة، بعكس أخت سارة الصغرى لامار التي كانت ترتدي زي سندريلا، فستان أزرق طويل يتخلله أشرطة بيضاء مطرزة، مشدود جيدًا على خصرها

وكتفها العاري، كأنه فستان زفاف لونه أزرق تسير خلفها فتاتان ترتديان زي أشبه بالفراشات البيضاء، يساعدانها في السير وحمل فستانها الطويل، منظر غريب على عيد الهالوين، بدا على نالين الاستغراب من المشهد

زال هذا الاندهاش عندما وقفت أمامهم سيارة فارهة مكشوفة، رُبطت في خلفيتها بالونات متعددة الألوان، مُلئت بغاز الهليوم؛ مما جعل البالونات تستقر في الهواء.

تزينت السيارة بالورود والأشرطة اللامعة، بدت كأنها ستزف عروسًا اليوم، خرج منها شاب لم يكمل عامه العشرين بعد، يرتدي بزة بيضاء لامعة، وحذاء أبيض غريب أشبه بحذاء الستينيات من القرن الماضي، قبعته البيضاء كسر الشريط الأسود بها وربطة العنق تلك السوداء هذا البياض الناصع، الذي ظهر به الشاب، بدا كأنه بدرًا.

تقدم الشاب إلى لامار بفستانها الأزرق، ركع على ركبتيه أمامها، وأخرج من جيبه علبة صغيرة بها خاتم ماسي؛ جعلت كل الفتيات بما فيهن نالين وسارة يشهقن شهقة سمع صوتها من داخل المدرسة، ألبس الشاب لامار الخاتم الماسي في إصبعها، انحنت قليلًا طلبت منه أن يستقيم وأن ينهض أمامها كأنها أميرة تدعو أميرها للنهوض.

نهض الشاب ووضع قبلة صغيرة على شفتيها، جعل كل الفتيات يضعن أيديهن على شفاههن من جمال منظرهما، قبلها مرة أخرى قبلة طويلة، بعدما احتضنها وقربها إلى جسده كثيرًا.

بدأ التصفيق الحاد من الحاضرين، بدت عليهم علامات الإعجاب والتمني، حمل الشاب لامار على ذراعيه؛ ليدخلها

السيارة، وأغلق الباب وأسرع ليركب في الجهة الأخرى وانطلق... انطلقت معه إشارات القبل المتبادلة بين لامار وبين أصدقائها.

ودعوهما بالقبلات، الكل سعيد فرح يهلل لهما كأنهما عروسين تم زفافهما اليوم، الكل فرح سعيد حتى سارة بدت عليها البهجة من منظر أختها وما فعله الشاب بها اليوم.

انفطر قلب نالين على ما شاهدته اليوم، لا تدري ما سيحل بتلك الفتاة المسكينة، هل ستصبح حالتها مثل أختها، تتزوج سرًا أم سيؤول إلى حال نالين، تحمل دون أن تدري سبب حملها.

دخل الجميع إلى المدرسة وبدأ حفل الهالوين بفقرات فنية، قدمها شباب وفتيات المدرسة، كانت أشبه بفقرات الرعب والفانتازيا، مقتبسة من بعض الأعمال السينمائية الأمريكية، تلا ذلك حفل صغير حيث تحول المسرح المُعد للعرض إلى ما يشبه المقابر باستخدام الديكور والشاشات التي تعرف ب (الثري دي).

صعد مدير المدرسة يرتدي لباس أشبه بلباس القساوسة، أضاء الكثير من الشموع على مجسمات المقابر على المسرح، وبدأ في ترتيل بعض الكلمات غير المفهومة، رددها بعض من مدرسي المدرسة خاصة المدرسين الأمريكان، استمرت الفقرة قرابة الساعة.

أثناء العرض الجنائزي وزعت الحلوى على الحاضرين بواسطة بعض الطلاب والمدرسين، ومن بينهم مُدرسة الثقافة العامة ماريا، التي بدورها كانت تختار بعض الطلاب، خاصة ممن تخطوا المرحلة الإعدادية، غلفت ماريا حلواها بطريقة خاصة، وضعت بها ورقة سرية داخل غلاف الحلوى، كتبت فيها دعوة لحفل الهالوين الخاص بها في منزلها الفخم عند منتصف الليل.

انتهى عرض الشموع وتلا ذلك عرض راقص لراقصة شرقية معروفة؛ تحول الحفل إلى ما يشبه الملهى الليلي، بأغانيه الشعبية ، وقدمت الراقصة فقرات من الرقص الشرقي وبعض الرقصات المريبة، التي تشبه عروض نوادي التعري الأمريكية.

تلا ذلك موسيقى هادئة اجتمع فيها كل جسد يستطيع الرقص، صعدوا على المسرح يتراقصون جميعًا، شباب وشابات، وبنات مع بنات، وشباب مع شباب.... الكل اندمج، الكل عبر عن رغبته في الرقص. رقص هادئ فصاخب، ثم تحول المكان إلى صالة للمجون، فالكل يرقص... المعلمون والعاملون والطلاب.....

انتهى الحفل عند تمام الثامنة مساءً، انصرف الجميع كل في اتجاه، بالطبع من وُجهت لهم الدعوى من قِبل ماريا انتظروا في الطرقات حتى موعد حفلها.

حانت اللحظة إنها منتصف الليل بمنزل ماريا، حضرت كل من نالين وسارة الحفل بعدما تم دعوتهما من قبل ماريا، وبناء على وعد من عشيق سارة بالحضور، بل إنه طلب منها الحضور باكرًا وسيحضر هو بعد ذلك.

منزل كبير أشبه بفيلا فخمة بُنيت على الطراز الأوربي بحديقة صغيرة، تجمع الطلاب بالحديقة وداخل المنزل كل شاب معه فتاته، ربما أطلق عليها حبيبة أو صديقة أو أي اسم آخر....

مسموح له أن يتعامل مع فتاته أو من يحب، سواء كان ذكرًا أو أنثى على إنها ظله الذي لا يفارقه، فهناك وقف شاب وفتاة يتبادلان القبل الحارة دون استحياء أمام الجميع، وآخران يتحسس كل منهما جسد الآخر دون خوف أو رهبة، وهناك من يتبادلان التدخين من سيجار واحد، وآخران يتبادلان أنفاسهما بعدما استنشقا دخان

السيجار من أنفيهما قبل فمهما، وشوم كثيرة وأقراط وضعت في أماكن غريبة من الوجه والأذن والأنف، والخدود والذقن والحواجب لا تكاد تفرق بين الشباب والفتيات إلا إذا تعرى أمامك، الكل مندمج،

الأغاني والموسيقى صاخبة، يسمع دويها لبضع بنايات متتالية، الغريب أنه لا أحد من الجيران حاول مجرد محاولة أن يمنع ذلك الصخب أو يشكو للشرطة لكن الأغرب أن الشرطة أقامت كمينًا أمنيًا عند مدخل المجمع السكني المتواجد به منزل ماريا؛ لعدم دخول المنطقة أي شخص يُشَك في أمره أنه جاء ليفسد على ماريا ليلتها.

نالين وسارة جالستان في بهو المنزل على أريكة كبيرة، لا ترقصان ولا تشربان، تجلسان فحسب، تشاهدان ماضيهما، تشاهدان الشباب والفتيات بأفعالهم الإباحية التي يحرمها القانون. خمور ومخدرات على كافة أشكالها، الكل يستمتع والكل يتفاعل.

وسط الصخب والرقص والشراب هبطت صاحبة الحفل من الطابق العلوي، دنت من الحاضرين سيدة طويلة القامة شقراء، وإن كان لونها قد صبغ بلون ذهبي اكتسبته من تأثير شمس القاهرة فاندمج الأبيض بالخمري بالأشقر فظهر لونها اللامع، لكن ذلك لم يبد لها أي ملامح للجمال، فاستطالة وجهها وبروز أنفها الكبير المدبب وشفاهها الكبيرة جعلت ملامحها تظهرها كأنها رجل استطال شعره بعض الشيء، بل إنه صبغه بلون أحمر دموي وساعدت نحافة جسدها وطولها أن يظهراها في صورة يشمئز منها غالبية الرجال، إلا من يعشقون الاختلاف والأشياء الشاذة، فتحولت شخصيتها إلى امرأة تعشق كل ما هو شاذ على أي مجتمع تعيش فيه.

بدأت في تفقد الحاضرين، تتفقد الحجرات المغلقة والحمامات والزوايا التي يستطيع أي شخصين الاختفاء بها، تبتسم لهما وتحذرهما وتتفاعل معهما، تقدمت حتى وصلت إلى نالين وسارة، فوجدتهما جالستان على الأريكة بمفرديهما، لا يشاركان الشباب الاحتفال؛ وقفت أمامهما بثيابها القصيرة التي كشفت عن معظم فخذيها تحدثهما: ما بكما، لماذا لا تشاركان في الحفل؟ ما بك يا سارة؟ لماذا لا تحتفلين ألا تعلمين أنني جئت إليك اليوم بمفاجأة رائعة؟!

بدت علامات الفرحة على وجه سارة على عكس نالين التي بدت عليها ملامح الاستهجان، فكل منهما جال بخاطره شيء مختلف.

- مفاجأة لي أنا سيدتي!!

- بالطبع لك يا سارة ستكون مفاجأة رائعة، أما أنت يا نالين...

قاطعت نالين حديث ماريا وتذمرت وأعلنت عن غضبها من قولها..

- لا أريد أية مفاجآت، إنني بخير الآن لكن أريد أن أحادثك في أمر ما .

- ما هو عزيزتي؟ تفضلي.

- أفضل أن يكون بمفردنا.

- لا عليك تعالي في مكتبي.

دخلت ماريا ومن خلفها نالين بحجرة المكتب وأغلقت نالين الباب ثم سألت ماريا سؤلًا..

- أريد أن أعرف منكِ مَن أبلغ سارة وحبيبها بعلاقتي مع مالك؟

- أها هل تظنين أنني من أخبرتهم أو أخبرت غيرهم!

انفعلت نالين عندما سمعت حديث ماريا وحاولت أن تهجم عليها لكن ماريا صرخت بوجهها مما جعلتها تقف ولا تتحرك لتخبرها:

- ماذا تريدين يا نالين هل أنا من أحببت؟ هل أنا من مارست الجنس الظاهري والخلفي؟ هل أنا من سلمت جسدي أوطلبت منك أن تسلمي جسدك لمالك لماذا تلوميني أنا؟

- أنا لا ألومك بل إنني كنت ألتزم بكل شيء قلتِه لكن حدث أمر غريب ولا أفهمه.

- عن أي أمر تتحدثين؟

- أريد أن اسئلك سؤلًا.

- تفضلي

- هل من الممكن أن يحدث حمل دون أن يهتك غشاء البكارة هل من الممكن أن يحدث حمل دون إيلاج كامل.

- بالطبع لا مستحيل.

- اذن ماذا حدث؟

- أنا لا أعلم عن أي شيء تتحدثين؟ هل تخفين عني سرًا؟

- لا يوجد أسرار.

- إذن دعك من كل هذا ودعينا نستمتع بحفلنا.

احمر ذلك الوجه الأبيض بل توهج، كاد عقلها يجن حاولت أن تستجمع أنفاسها لتسأل ماريا آخر سؤل:

- أين مالك يا ماريا؟

- لا أعرف عنه أي شيء.

قالتها ماريا وغادرت المكتب وتركت نالين تعاني من الهواجس التي ملأت عقلها.

عادت نالين إلى سارة شاردة الذهن فوجدتها شاردة أيضًا تريد أن تعرف ما هي المفاجأة، وكيف ستكون، لكنها لا تريد أن تتحرك قبل مجيء عشيقها الذي تزوجها سرًا، أما نالين فبداخلها خوف وريبة وتفكير عميق، فإن لم يكن شك في أن ما ارتُكب بحقها ما هو إلا جريمة وفعلت بها في هذا المكان لا غيره، فهو المكان الوحيد الذي فقدت فيه وعيها من كثرة الشراب والتدخين، كما أنه المكان الذي تعرت فيه من ملابسها كاملة أمام حبيبها مالك عندما مارس معها الجنس السطحي أو الخلفي، الشك يساورها بل إنها عزمت على عدم الشراب أو التدخين؛ لعلها تصل إلى خيط قد يخبرها الحقيقة، كل ذلك وهناك شخص ثالث جالس خارج البيت في سيارة أمنية مجهزة يراقب كل شيء يحدث ويستمع جيدًا، يسجل كل شيء، إنه الضابط عادل.

قطع شرود نالين صوت سارة الذي هتفت به أكثر من مره لتسألها:

- ما بك؟ ماذا حل بك نالين، لقد أصبحتِ شخصًا آخر لا أعرفه؛ لا ترقصين ولا تشربين، أين أنت يا نالي؟!

- أنا هنا معك لم أغادر.

- إذن هيا بنا نرقص.

- لا أستطيع فأنا متعبة.

- لا تقلقي لن نرقص كثيرًا بل سنتمايل بعض الشيء لا تقلقي.

- إن كان تمايلًا فهيا بنا سارة.

بالفعل تركتا الاثنتان الأريكة التي نثرتا عليها أفكارهما، وبدأتا بالتمايل بالقرب من الحجرة التي أشارت إليها ماريا، لم تمر إلا بضع دقائق حتى سقطت سارة مغشيًا عليها، لم يلحظ أحد سقوطها غير نالين التي صرخت عاليًا، أعلى من صوت صخبهم، فهدأ الجميع، ولم تهدأ الموسيقى، حملها بعض الشباب إلى الحجرة المجاورة لهم، ومن خلفهم نالين لا تدري ماذا تفعل!! وماذا أصابها!!

وضعها الشباب على الفراش في الحجرة التي أشارت إليها ماريا، بأن لسارة مفاجأة كبيرة بها،

أحضر أحد الشباب زجاجة عطر وضعها على أنف سارة؛ فاستفاقت بعض الشيء؛ فاطمأن الجميع على حالها.

طلبت نالين منهم المغادرة حتى تحصل على بعض الهواء النظيف؛ لعلها فقدت الوعي من الهواء المسمم برائحة دخان البانجو والحشيش وغيره؛ استجاب الجميع وخرجوا؛ ليمارسوا ممارساتهم كل في ليلاه يلهو، وما أن خرج الجميع حتى سألتها نالين:

- ما بك يا سارة هل أنت مريضة؟

- لا يا نالين أنا بخير.

- إذن هيا بنا إلى المشفى كي نطمئن عليك؛ سنذهب إلى الطبيب ممدوح سأتصل به حالًا.

- لا نالين أرجوك لا.

- لماذا يا سارة، نريد أن نطمئن عليك؟

- أتوسل إليك لا تفعلي، أتوسل إليك.

- ما بك خبريني.

- سأخبرك لكن اوعديني ألا تخبري أحدًا آخر.

- أوعدك.

- أنا حامل يا نالين.

- حامل؟ أنت أيضًا؟!!

- أيضا، هل هناك أحد آخر يا نالين؟

- لا أظن، لكن ممن؟ مِن عشيقك؟!!

- نعم هو، واكتشفت الحمل منذ أسبوعين وتحدثت إليه؛ لكنه حتى تلك اللحظة لم يخبرني ماذا أفعل، طلب مني الكتمان فقط.

في تلك اللحظة فُتح باب الغرفة عنوةً؛ مما أفزع كل من نالين وسارة، لكنهما هدأتا عندما وجدتا عشيق سارة واقفًا أمامهما.

صرخ بأعلى صوته في سارة ليقول:

- أين هو أيتها الخائنة، لقد أحببتك ووهبتك روحي، والآن تجيئين إلى هنا؛ لتمارسي معه الرذيلة... مع تلك الكلمات هرول الجميع إلى الحجرة؛ ليروا سبب كل هذا الصراخ، وقف الجميع أمام الباب، وهرولت من خلفهم ماريا، تدفعهم إلى الخارج لتقول لهم:

- إنه أمر خاص، أرجوكم عودوا إلى حفلكم وسنعالج الأمر.

وقفت نالين في منتصف الحجرة وصرخت بأعلى صوتها، فجعلت الجميع يسكن مكانه:

- لحظة واحدة إنه ليس أمرًا خاصًا، إنه أمر عام، يخص كل من تواجد هنا في هذا الحفل.

تقدمت نالين ووقفت أمام وجه عشيق سارة، دفعته في كتفه مرة ثم مرة أخرى، لتصرخ في وجهه:

- عمن تبحث، عن سبب لهروبك، انظر، فتش، ابحث، يبدو بأنها تخونك مع هذه السجادة، أو تلك الوسادة، أو ربما هذا الحذاء - الذي رغم قذارته أنظف من أخلاقك -.

تركته ووقفت أمام وجه ماريا والغضب يكاد يحطم كل ما تواجد أمامها، لتقول:

- هل هذه مفاجأتك؟! تأتين بها وتستدرجينها؛ لتلعبي أنت وهذا القذر لعبتكما النتنة؛ ليهرب منها ليلبسها ثوب العار هي وأهلها.

استدارت المعلمة لتقف في وجه نالين وتصرخ فيه بكل جبروت وتبجح، لتقول:

- عما تتحدثين!! عن تلك العاهرة التي باعت جسدها مقابل لذة ساعة.

هنا وبصوت مهموم وقلب مصدوم تحدثت سارة:

- هل الحب أصبح مجرد لذة ساعة؟! لقد اعتقدت أن الحب ما هو إلى حياة تدوم إلى يوم الساعة.

ضحكت ماريا بصوت عال ساخر؛ لتقول:

- يوم الساعة... يوم القيامة... هل حقًا تعرفون الله!! هل حقًا تؤمنون به، ما بكم هل تذكرتموه الآن؟! أين كنتم من قبل؟!

تقدمت نالين لتقول:

- كنا معك أيتها المعلمة، كنا نثق بك، نثق بكلامك، ألم تخبرينا بأن كل شيء مباح إلا ذلك الغشاء، لا تقربوه، لا تنقروا عليه، إنه مثل الدُف رقيق الملمس، عندما يتم تسخينه قبل قرعه يعزف لحنًا جميلًا تستمتعون به، لكن إن قرعتم عليه سيأتي بجنين لن تستطيعوا أن تواجهوا المجتمع به؛ لذا إياكم والاقتراب من ذلك الدف، أجسادكم ملك لمن تعشقون إلا ذلك الغشاء.. أليست هذه تعليماتك؟!!

- وهل حقًا سارة وأنتِ لم تقتربا منه؟!

- أنا عما تتحدثين!! عني أنا!!

- بالطبع نالين أتحدث عنك أنت، عن مالك، عن عماد الشاب اليهودي، حبيبك، عشيقك، هل حقًا لم يقرع غشاءك مثلما لم يقرع غشاء لاوجا أختك؟!!

في تلك اللحظة أصابت نالين حالة من الهيستريا؛ جعلتها تتمتم بكلمات غير مفهومة، وصوت أنفاسها المتقطع بين تنهيدة وبين كحة وكأنها مريضة بذبحة صدريه.

وجدت بجانبها مزهرية كبيرة أمسكتها؛ حاولت أن تهوي بها على رأس ماريا، لكن يد الضابط عادل سبقتها ومنعتها من ارتكاب جريمتها.

الفصل الرابع عشر

تدَّخل الضابط عادل لمنع نالين من أن ضرب المعلمة ماريا على رأسها بالمزهرية، التي بين يديها؛ كي لا تقع نالين في معضلة كبرى لا يقدر على حلها أي شخص بما فيهم مهاب والدها العظيم.

وقف عادل في وسط الجميع شاهرًا سلاحه، ومن خلفه وقف اثنان من مساعديه يشهران سلاحهما في وجه ماريا، أمر عادل معاونيه سرعة تفتيش المكان.

نهرتهما ماريا، صرخت في وجههما بأعلى صوتها قائلة:

- من أنتم ومن أين جئتم، هل تعلمون من أنا؟ هل تعلمون بيت من هذا حتى تفتشوه؟

تقدم إليها عادل وفي كل حزم أزاح مسدسه من وجهها قائلًا:

- نعلم من أنت، لكنك أيضًا تعلمين ما اقترفته، لذا دعينا ننهي الأمر بهدوء.

- يبدو بأنك أيها الضابط المغرور لا تعرف من أنا جيدًا أنا ماريا مواطنة أمريكية ومدرسة في أكبر مدارسكم ولديّ علاقات مباشرة مع الإدارة الأمريكية.

نظر إليها عادل نظرة سخرية قائلًا:

- أعلم كل هذا وأكثر ولن يثنيني أي مما قلتيه عن ما جئت لأجله.

- إذن أستميحك قبل أن تفتش بيتي أن أُجري اتصالاً واحدًا.

ابتسم عادل ابتسامة صفراء بوجهها قائلا

-ليس هذا وقتا للثرثرة في الهاتف

أمر عادل الاثنين اللذين كانا معه أن يفتشا المكان، يبدو أن القدر يبتسم لعادل حقًا، فهو لا يمتلك إذن تفتيش، وسيقع بالفعل تحت طائلة القانون، فمن الممكن أن يتم تقاعده أو ربما حبسه، فإنه يتعامل مع مواطنة أمريكية ليست بالضعيفة، كل ما كان يشغل باله هو الحصول على ما يتواجد بمنزل ماريا؛ ليعرف الحقيقة كاملة، فهو على يقين بأن ماريا تدير شبكة كبيرة للإيقاع بفتيات صفوة المجتمع.

كررت ماريا كلامها: أنتم تخالفون القانون، سأقاضيكم.

قبل أن يتحرك معاونا عادل من مكانهما فوجئ الجميع بعدد كبير من الرجال المرتدين أقنعة سوداء، لا تظهر غير أعينهم، يرتدون واقيًا للرصاص على صدورهم ومرافقهم وركبهم، وكل مفصل في جسدهم، ضخام البنية بأيديهم بنادق آلية حديثة، موجة شعاعها الأحمر اتجاه الجميع.

الكل أصابه الذعر والهلع، الكل رفع يديه للاستسلام الفوري دون أن يتفوه أحد من الجنود بكلمة واحدة إلا عادل الذي عرف عن نفسه وسبب تواجده هنا:

- أنا عادل ضابط مصري؛ وجئت للقبض على المدعوة ماريا؛ لارتكابها أعمالًا مخلة بالشرف.

أما ماريا فظلت واقفة صامتة لا تتحرك؛ لثقتها في أنهم جاءوا من أجلها، تقدم أحد الجنود وأزال قناعه، بدا بأنه ضابط مصري من ملامحه، وقف في المنتصف، وأظهر شارته... ضابط في الأمن الوطني المصري.... ومعي فرقة العمليات الخاصة.

طلب من الجميع الهدوء، طلب من الجميع خفض الأسلحة والتراجع قليلًا، أخرج هاتفه النقال ثم قام بالاتصال على رقم، وما أن أجاب الرقم حتى أعطى إلى ماريا الهاتف، وقام بتفعيل المذياع الخارجي حتى يسمعه الجميع:

جاءها صوت من الهاتف، صوت السفير الأمريكي يخبرها بنفسه:

نفذي ما يطلب منك، ونحن بدورنا سنتحدث مع القيادة السياسية لإخراجك من هذا الأمر.

سمع كل من بالحجرة هذا التصريح، الكل بدا في اندهاش تام، لا يعلم ما هذا!! وماذا يحدث. نالين وسارة وماريا والشباب والفتيات لا أحد يعلم أي شيء....

قبل أن يأمر ضابط أمن الدولة قوته باقتياد ماريا إلى الخارج، سأله عادل: عما يحدث؟! ولِمَ هم هنا الآن؟!

لم يجب الضابط على عادل، أمر قوته باقتياد الشباب والفتيات إلى الخارج فيما عدا نالين وماريا، وبقي عادل بجوارهما.

أمر باقي قوته بتفتيش المكان جيدًا، ومصادرة أي شيء قد يُعتقد أنه في صالح القضية.

حاول عادل مرة ثانية أن يفهم منه الأمر، طالبه الضابط بالهدوء قليلًا، ثم أخذه هو وماريا ونالين ودخلا إلى حجرة صغيرة، وأغلق الباب عليهم؛ ليجيب على تساؤلات عادل....

دخل الجميع إلى الحجرة، استلقى ضابط أمن الدولة على الأريكة، وكأنه سيغفو قليلاً، أمسك مسدسه وبدا يداعبه بأصابعه....

وقفت نالين وماريا وعادل أمامه يملأهم القلق، يريدون أن يفهموا ماذا يحدث؟!!

- اعتدل الضابط في جلسته ثم بدأ الحديث قائلًا:

- صديقي العزيز عادل، أعلم جيدًا ما يخطر ببالك الآن، وأعلم لِمَ أنت هنا.. وأعلم أيضًا ما هي علاقك بنالين ولاوجا، فكل شيء نعلمه منذ أن أمرت أحد أصدقائك في الأمن الوطني بأن يحضر لك بعض أجهزة التجسس، ووضعتها في هواتف ومكتب مهاب ونالين ولاوجا.

نعلم كل شيء، بل على العكس رحبنا به ودعمناك في الخفاء، يبدو بأن الحظ ساندك كثيرًا.

غضبت نالين؛ وعلا صوتها في وجه عادل تسأله:

- هل حقًا كنت تتجسس علينا، لِمَ؟

عبرت أيضًا ماريا عن غضبها، وبدا ذلك في حديثها لتقول:

- هل تعلمون ما ينتظركم، هل كنتم تتجسسون علينا، يا لكم من حمقى؛ ستندمون كل الندم..

وعندما حاول عادل أن يرد، أن يتكلم استقام الضابط وضع يده على فم عادل طالبًا منه السكوت قائلًا:

- صديقي العزيز عادل أخبرتك سابقًا أن الحظ ساندك كثيرًا، قلت لك إن القيادة كانت على علم بكل خطواتك، بل إنك كنت غطاءً جيدًا لنا.

فقد وردت إلينا معلومات أكيدة بأن ماريا لديها في بيتها وكر للرذيلة لشباب وفتيات المدرسة الدولية، الكارثة الكبرى أنها كانت

تستقدم هؤلاء الشباب والفتيات؛ ليقوموا بتلك الأفعال الإباحية والشذوذ وغيره في بيتها، ناهيك عن شرب الخمور والمخدرات والهروين وغيره؛ وتقوم تلك الساقطة العميلة لدى أجهزة ومنظمات خارجية بتصوير هؤلاء الشباب، ثم ابتزاز عائلاتهم؛ ليس لكسب المال فحسب، لكن كانت تبتزهم لاتخاذ قرارات سياسية أو اقتصادية تضر بالدولة، وتؤثر على اقتصادها وسياساتها الخارجية، بناءً على أوامر كانت تأتيها من الخارج.

تعلم جيدًا يا عادل أن معظم أبناء صفوة المجتمع من السياسيين والاقتصاديين وأيضًا بعض الوزراء يدرسون في تلك المدرسة.

حتى ممن لم يكن لهم أبناء بالمدرسة كانت تستقدمهم عن طريق عملائها ومساعديها، ومن تجندهم معها، مثل عماد أو مالك، ونضال زوج لاوجا وغيرهم من الشباب.

هل تعلم كم هي خسائر الدولة من تلك القرارات الخاطئة التي أُتخذت بسبب ماريا وابتزازها لصفوة المجتمع؟!!

هل تعلم كم عانى الشعب من هؤلاء؟!

لكنها بالطبع كانت تحت الحماية الأمريكية، وكان يصعب علينا الدخول في تحقيقات رسمية أكيدة أو حتى مراقبتها رسميًا؛ خاصة وأن لديها أجهزة تشويش عالية الدقة، فلو اكتشفت الأمر كنا سنواجه أمورًا دبلوماسية أخرى، ولا نستطيع أن نوجه لها اتهامًا واحدًا، بل كان من المكن أن يتم توجيه اللوم لنا.

فجئت أنت يا عادل وقمت وفعلت ما فعلت، ونعلم أنك ضابط ماهر، فلم يُكتشف أمرك من قبل أجهزة الأمن الأمريكية، سواء في البيت أو المدرسة أو حتى الأجهزة التي وضعتها أجهزة الأمن

الأمريكية داخل منزل مهاب، وكنت تتجسس عليهم، ونحن نتجسس عليك وعليهم، بجانب ما لدينا من معلومات.

فلو أُكتشف أمرك؛ كنت ستتحمل أنت وحدك المسؤولية، وسيخرج المسؤول الأمني لدينا بأنه لا يعلم شيئًا عن الأمر، لكنك كنت بارعًا يا عادل، بارعًا جدًا فعندما اكتملت كل الأدلة لدينا؛ اتخذنا القرار وتدخلنا، ورحبت قيادتنا بذلك، ودعمتك، أشكرك كل الشكر صديقي العزيز عادل.

هنا تحدث عادل يخبر الضابط وفي فمه ابتسامة صفراء حزينة:

- إذن أنتم استغللتم الموقف جيدًا، حسنًا، فالمصلحة واحدة، لكن ما يهمني حقًا هما نالين ولاوجا، وأريد أن أعرف كل شيء عنهما، فهناك بعض الخيوط غير واضحة أمامي.

- بالطبع يا عادل هناك بعض الأمور غير واضحة، وستضح بعد قليل، بعد تفتيش ومصادرة كل شيء يتعلق بماريا.

بعد مرور قرابة الثلاث ساعات، حينما بدأ شعاع الفجر يظهر، طرق باب الحجرة أحد معاوني ضابط أمن الدولة حاملا معه علبة صغيرة مكتوب عليها عائلة مهاب.

استلمها ضابط أمن الدولة منه؛ ثم نادي على عادل وأعطاه أيها ليخبره:

- هذه قضيتك، هذا ما كنت تبحث عنه، ستجد كل شيء داخله، اذهب وعالج أمور عائلتك، أعلم علاقتك بهما، ونحن أيضا نحترم عائلاتنا مهما كانت أفعالهم، أريد أن أخبرك أمرًا، لا يوجد لدينا أي نسخ لتلك الأسطوانات وكروت الذاكرة، ولا تقلق سنمحو أي شيء

يخص عائلة مهاب، أنت رجل شريف وقدمت لنا خدمة كبيرة، وهذا رد الجميل لك، عالج أمورك بهدوء شديد.

بالفعل انصرف عادل ومعه نالين واثنين من معاونيه ممن كانا معه سابقًا.

تركوا ضابط أمن الدولة وماريا يواصلون التحقيقات والبحث.

أوصل عادل نالين إلى بيتها، ولم يتحدث معها، ولم يجاوب على استفسارها الوحيد:

- من هم أخوتك؟ من عائلتك؟

تركها في حيرتها وصدمتها، تركها أمام قصر مهاب ثم ذهب إلى مكتبه؛ ليشاهد ما بداخل الصندوق بمفرده ثم يتخذ قراره فيما ستؤول إليه أمور العائلة المبجلة... عائلة مهاب.

الفصل الخامس عشر

انتهى كل شيء، الحقيقة بدت واضحة أمام عادل، كل الخبايا خرجت من جحورها؛ لتظهر جلية أمامه، بدأ يتذكر ماضيه، بدأ يتذكر كل شيء، بدأ يربط الأحداث ببعضها؛ وجد أن القصة تعاد لتروي نفسها من جديد...

ذهب عادل إلى مكتبه يشاهد ما بداخل العلبة، أصبح معه الدليل كامل على كل ظنونه، بات مهيئا ليعلن عن كل التفاصيل أمام مهاب

قرابة الخمسة عشر كارتًا للذاكرة كانت بالعلبة، وبعض الأسطوانات...

بدأ في مشاهدتها سريعًا، واحدًا تلو الآخر، كانت عيناه وعقله يرفضان المشاهدة، كان قلبه يدمي كلما شاهد لاوجا ونالين في أحضان نفس الشاب، تغيرت ملامحه، تحول الوجه الناصع البياض إلى وجه عابس قاتم اللون يحمل من الغضب ما يحرق مدينة كاملة، حطم كل ما هو أمامه على مكتبه وفي حجرته الخاصة.

إنه عماد كما تسميه لاوجا، ومالك كما تدعوه نالين، الشخص نفسه مارس على الأختين طقوس الحب والغرام، عرف مداخلهما، عرف كيف يصل إلى قلب الأختين رغم اختلاف شخصيتهما، لكنه كان بارعًا في التخفي داخل قلبيهما، وقد ساعدته ماريا.

مدته بكافة المعلومات عنهما؛ فسهلت له مهمته، عاونه نضال أيضًا، إنه شريكهم الثالث.

ساعدت حالة الجفاء التي كانت بين لاوجا ونالين في عدم التحدث بحرية بينهما، في عدم الإنصات لكلتيهما، لم يكن بينهما سرًا واحدًا، بل العجيب في الأختين أنهما كانتا تبحثان عن قلب تشتكيان له همومهما، يبوحان له بأسرارهما، لكن لم تفكر أي منهما أن ذلك القلب لا يفصل بينه وبينها غير حائط أسمنتي واحد.

صدقت لاوجا عماد ومن وراءها نالين، فهو عميل تابع لمنظمات خارجية تم زرعه داخل المدرسة كي تفتتن به البنات: بنات أكبر رجال أعمال في الدولة؛ فيستطيع بمساعدة ماريا أن تفرض تلك المنظمات شروطها الاقتصادية على مصر، بما يضمن مصالح دول أخرى، وبما يهدد المصالح المصرية.

انتهى عادل من مراجعة الفيديوهات سريعًا؛ وجد ما كان يبحث عنه...

اتصل عادل بمهاب طالبًا عقد اجتماع في قصره، وطلب أن يحضر الجميع: لاوجا ونالين ونضال والجدة وأيضًا الطبيب ممدوح، طالبهم جميعًا بالحضور عند الظهيرة.

مرت الساعات على الجميع في قصر مهاب؛ ينتظرون قدوم عادل؛ ليخبرهم الحقيقة؛ ليزيح الستار عن لغز كبير داخل عائلة مهاب.

عند حلول الظهيرة الكل مجتمع في بهو القصر، بعدما صرفوا جميع الخدم بناءً على طلب عادل، لا أحد يعلم سبب الاجتماع، أو من هو عادل غير نالين ومهاب وممدوح؛ فلاوجا لا تعلم من هو عادل، أما نضال فيبدو أن خبر القبض على ماريا لم يكن قد وصله بعد، كان يحتفل بالهالوين في مكان خارج القاهرة، ولم يخبره أحد.

حضر نضال على الفور بمجرد استدعاء مهاب له، حضر عادل إلى القصر في الموعد المحدد؛ استقبله مهاب.

جلس الجميع على مقاعدهم في بهو القصر الدائري، مهاب ونالين ولاوجا، ممدوح والجدة ونضال، وقف عادل في منتصفهم بجانبه منضدة صغيرة، وضع عليها مسدسة، بعدما نزعه من جرابه، ووضع بجانب مسدسه مصحف صغير أحضره معه، وبجانبه شارته الشرطية، وبدأ الحديث:

كل العيون كانت تتطلع إليه مترقبة شفاهه، كل شخص كان هناك هاجس يدور بخلده، كل الهواجس حضرت لكنها اختلفت....

بدأ عادل حديثه قائلًا:

- مساء الخير على الجميع، أهلا بكم جميعًا، أهلا بعائلة العظيم مهاب، اليوم هو يوم الحقيقة ولا شيء غيرها، إن كان بقلب أي واحد منكم ذرة من كذب فليفارقنا.

صمت تام ساد الجميع، نظرات من عادل إليهم، لا أحد يتحرك، ولا أحد يتكلم....

عاود مرة أخرى استكمال حديثه، بعدما أطال عادل النظر في عين مهاب قائلًا:

- لم يتحرك أحد، ولم يفارقنا أحد على الرغم من أن قلوبكم يملؤها الكذب.

هنا قام مهاب من مجلسه، ونظر في عين عادل يحدثه بغضب:

- ما بك أيها الضابط، هل جئت اليوم لتنظر لما في قلوبنا، اختصر كلامك، لماذا هذا الاجتماع؟ هل توصلت إلى الحقيقة؟

نظر عادل إلى مهاب ثم طلب منه الهدوء والجلوس؛ ليخبر الجميع:

- بالطبع سيدي لقد جئت الآن من أجل الحقيقة، ولا شيء غيرها.

أعرفكم بنفسي أولا: اسمي كريم ابن شهيرة زوجة السيد مهاب، أخو لاوجا ونالين، الذي أبعده السيد مهاب عن أخوته البنات؛ لأنه كان يتحرش بهما وهو في عمر الست سنوات.

دوت تلك الكلمات على مسامع الجميع، فاختلف دويها بين شخص وأخر

دوت على مسامع مهاب كحمم بركانية؛ فاسود وجهه وزادته غضبًا.....

ابتسمت الجدة وبدا على وجهها السرور تقدمت إلى عادل تنظر في عينه تطالعه تحاول أن تتأكد من صدق حديثه عن طريق قلبها.

صمت ممدوح وطأطأ رأسه عندما وجد مهاب ينظر إليه والحمم البركانية بدأت تخرج من عينيه باتجاهه، أما نالين لم تُبد أي ردة فعل، فلقد علمت ذلك مسبقًا بل إن عقلها كان شاردًا في جنينها ومالك، حاولت لاوجا أن تقوم من مجلسها؛ لتحضن أخيها إلا أن عادل طلب منها الهدوء والجلوس للاستماع إلى ما هو قادم.

استكمل عادل حديثه قائلًا:

لا تنزعجوا، لا تنزعج يا عمي مهاب، فمالا تعرفه أن ممدوح لم يلحقني بأي ملجأ خارج مصر؛ بل منحني هدية إلى السيد مراد أحد أقاربه؛ فلقد كانت زوج السيد مراد عاقرًا فمنحني له، كابن ليحسن تربيتي ولقد فعل هذا جيدًا، رباني والدي السيد مراد أحسن

تربية بل منحني اسمه وعائلته، فاسمي كما تعلمون هو عادل مراد، هو من ألحقني بكلية الشرطة، آه نسيت أن أخبرك أن ممدوح أخذ من مراد تسهيلات بنكية مقابل تلك الهدية.

اقتربت الجدة أكثر من عادل؛ أمسكت بملابسه تجذبه إليها، تريد احتضانه، فانحنى عادل وقبَّل رأسها ثم سألها:

- ماذا تريدين جدتي، بعينيك أسئلة كثيرة؟

أحقًا أنت ابن شهيرة، إنني لا أصدق!! هل أنت ضابط حقا... يا الله.

أمسك عادل يد الجدة وقبَّلها بعدما قبل رأسها، نظر في عين مهاب يتصارع معها قائلا:

- بالطبع أنا هو جدتي، ومهاب زوج أمي.

انفعل مهاب مجددًا ليقول:

-كيف هذا؟! ماذا يقول يا ممدوح... أشم رائحة غدر في حديثك.

تقدم ممدوح تجاه مهاب وهو يتهته في الكلام قائلا:

- أنا؟ ماذا تقول، لا أقدر أن أغدر بك صديقي الحبيب مهاب....

أعاد عادل ممدوح إلى كرسيه مرة ثانية، وطلب من الجميع الهدوء التام؛ كي يخبرهم الحقيقة وبدأ يسرد كل شيء.

نحن الآن بصدد ما وجدت عليه أخوتي لاوجا ونالين، يبدو بأن السيد مهاب قد زرع في أرض مملوءة بالألغام، الغريب أنه زرع وجاء وقت حصاده، الأختان لاوجا ونالين لهما عشيق واحد، مارس

معهما الجنس الخارجي والخلفي؛ مما جعل الصغرى تحمل منه، والكبرى تعاني من ذل زوجها الحالي نضال، والأغرب أن هذا الشاب ليس بمسلم، يهودي وعميل لإحدى المنظمات الدولية، التي تتعامل مع كثير من الدول وأجهزة مخابراتها.

هاج الجميع تجاه عادل مما سمعوا منه، مهاب وممدوح ولاوجا وزوجها نضال، حتى الجدة هي الأخرى، فيما عدا نالين التي ظلت متسمرة على كرسيها ولم تتحرك، الكل يتحدث، الكل اقترب من جسد عادل الواقف مكانه، الكل يتحرش به، يريد أن يصفعه على وجهه، يريد أن يلكمه، يريد أن يقتلع حنجرته من مكانها؛ فقد كشف حقيقتهم الزائفة.....

لم يتحرك عادل من مكانه بل لم يحرك ساكنًا، الكل حرك لسانه ولم يحرك يديه تجاهه،

اتهم الجميع ولم يستطع أحد أن يصفعه ولو صفعة واحدة، على الرغم من أنه ترك سلاحه وشارته أمامهم ووقف كشخص عادي دون التقيد بمهنته الرسمية أو أية حماية.

الجميع يعلم بما فعله مهاب، فقد ظلم شهيرة وابنها، وغرس في أبنائه مبادئ بعيدة عن الدين والتدين، أما ممدوح باع ضميره، ولا زال يبيعه حتى الآن، ولاوجا تعلم بما فعلته مع عشيقها؛ فقد وهبت جسدها إلى رجل لا يحل لها، الكارثة الحقيقية أنه ليس من دينها، أما زوجها نضال فكانت ترتعد أوصاله، هل علم عادل باتفاقه مع ماريا وعماد على الإيقاع بلاوجا ونالين؛ من أجل أموال مهاب.

قرر نضال مغادرة الاجتماع سريعًا؛ أسرع تجاه الباب يفتحه، لكنه وجده مغلقًا؛ فلقد أحكم عادل غلقه حتى لا يهرب أحد من الاجتماع.

نادى عليه عادل وطلب منه القدوم والجلوس على كرسيه مرة أخرى، نظر إلى مهاب، نظر بعينيه إلى تلك العينين الجاحظتين، وأمعن النظر قبل أن يقول:

- هذا نضال ابن أخيك وتربيتك؛ شرب من مبادئك، هل تعلم أنه من باع لاوجا إلى عماد وماريا، هل تعلم أنه شارك في تلك الكارثة، لقد وضعته حارسًا عليها فانظر ماذا فعل، لا تغضب منه سيد مهاب؛ فلقد فعل مثلك تمامًا، فعل مثلما فعلت بزوجتك شهيرة، بعتها هي وابنها من أجل المال، لكن نضال كان أغبى منك، باعهما قبل أن يغتنم المال.

ساد الصمت، حاولت لاوجا أن تتوارى خجلاً من نظرات أبيها إليها بعدما حاول مهاب أن يقوم من مجلسه؛ ليظهر غضبه عليها.

لم يستطع مهاب النهوض؛ أثقله ما سمع من عادل، أثقله الهم، الهم الذي أصاب ابنتيه لم تستطع قدماه أو عصاته أن تحملاه.

حاول أن يسألهما، يعنفهما ولو بكلمة واحدة، فلم تستطع الكلمات أن تخرج من شفاهه؛ فاكتفى بالإشارة إليهما، حتى إن يداه لم تستطع الصمود في الإشارة أكثر من ثلاث ثوانٍ فهوت جوار جسده.

وقفت نالين وبدأت تتحدث وكأنها كانت غائبة عن وعيها عن كل ما سبق، وقفت لتسأل عادل سؤالاً:

- عادل أو أخي كريم كما تزعم هل لي بسؤالك سؤالًا؟

- تفضلي أختي.

- أحقًا مالك كان على علاقة جنسية بلاوجا؟!

- بالطبع ويستطيع نضال ولاوجا أن يخبراك بهذا الأمر كله.

- هل لي بسؤالك سؤالًا آخر؟

- تفضلي .

لقد أخبرتنا ماريا أن الحمل يأتي عندما يُقرع على الغشاء، وعمدة لم يقرع على غشائي قط، فمن أين أتى الحمل، وما علاقة مالك به؟

تقدم عادل تجاه ممدوح، ونظر في وجهه، ثم عاد ليخبر نالين:

- يستطيع الطبيب ممدوح أن يفسر لك الأمر، أو أفسره لكِ وإن كنت مخطئًا؛ فيرد عليّ ممدوح أو حتى زوج أختك لاوجا؛ فهو أعلم مني بهذا الأمر....

أشار ممدوح للضابط عادل قائلًا له:

- تفضل يا عادل قل ما عندك.

فأجاب عادل على سؤال نالين:

- الحمل يا أختي يحدث عند تلاقي ماء الرجل مع بويضة الأنثى، وماء الرجل عبارة عن أجسام تُدعى حيوانات منوية تكون في ماء الرجل بالملايين، تسبح في مادة خاصة تحميه، تستطيع أن تحافظ عليها من الموت لفترة من الزمن، تختلف من رجل لآخر، وحكمة الله - الذي ابتعدتِ أنت وأختي لاوجا عنه - أن حيوانًا واحدًا من كل تلك الملايين يستطيع أن يكوّن الجنين عندما يلاقي بويضة الأنثى، كما أن غشاء البكارة به ثقوب تسمح بنفاذ الدماء عند حدوث الطمس، أي الدورة الشهرية للنساء، فما حدث معك أن بضع قطرات من ماء عشيقك سبحت حتى وصلت إلى غشائك؛ فعبرته ونفذت إلى رحمك فحدث الحمل.

- وما أدراك أن هذا حدث؟

- أعتقد أنك تستطيعين يا نالين أن تعلمي إن كان حدث أم لا، إن كانت بعض القطرات من مائه قد نفذت إليك أم لا، فعلاقتك بعماد قد تعدت الملاطفات.

شاهدت الفيديوهات الخاصة بك، وبحدوث معاشرة جنسية من الخلف أيضًا، ومن الأمام، لكنها كانت ظاهرية، صحيح لم يحدث إيلاج كامل؛ فعماد كان بارعًا في كل شيء، فأخذ منك كل شيء دون أن يُفقدك عذريتك، مثل السارق المحترف، يخفي كل شيء حتى بصماته؛ كي لا يعلم أحد هويته.

لكننا تعلمنا في الشرطة أن لكل مجرم هفوة، يُخطئ فيها؛ فيفتضح أمره، وهذا ما حدث، الله يا نالين فوق كل قادر وعالم، فقد شاء أن ينكشف أمره عن طريق حملك منه، فأمر حيواناته بأن تسبح وأعطاها القوة لتلاقي بويضتك؛ فتلقحها ويحدث الحمل، أليس كذلك أيها الطبيب؟!

سرت تلك الكلمات إلى مسامع نالين؛ مما جعل شفتيها تبتسم شيئًا فشيئًا، وظهرت على وجهها سعادة مريبة؛ مما جعلها تضحك ضحكة لم يسمع لها صوت وقامت لترقص أمام الجميع وتدندن لتعبر عن فرحتها قائلة:

- إذن هذا ابن مالك، ابن حبيب قلبي، لكم تمنيت ذلك، لقد طلبت منه ذلك، لكنه رفض، تمنيت أن يقرع على غشائي، تمنيت أن أحمل منه، أن يكون أبا لابني، كنت أعلم أن هذا مستحيل؛ بسبب اختلاف العقيدة بيننا، لكنني لم أبالي، بل إنني عرضت عليه أن أتزوجه تحت أي مسمى، تحت أي دين، لكنه رفض، خاف أن يصيبني مكروه بسبب ذلك.

صرخت الجدة في وجه الجميع كمن رأت أمامها نارًا تحرق المكان، صرخت وعلا صوتها تستغيث:

- يا الله!! أين أنت يا الله.. أرحمني من هذا المكان يا الله، أريدك.. أريد لقاءك يا الله...أرجوك أخرجني من هنا، لا أريد أن أرى، لا أريد أن أسمع... لا أريد أن أشعر.... يا الله أين أنت يا الله ارحمني وارحم ضعفي... أنهت كلماتها وأنهي الله آخر أنفاسها؛ فصمتت ولم يعد يخرج لها زفيرًا.

مهاب أصابته تشنجات في فمه وفي قدميه، خر على كرسيه جالسًا يشير إلى بناته، يشير إلى لاوجا، التي تقدمت تجاه ظهر عادل، اتجاه مسدسه الذي وضعه على المنضدة.

أمسكت مسدس عادل دون أن يلاحظ، وجهت مسدسه باتجاه نالين، التي كانت على مقربة من زوجها نضال، وحركت زر الأمان وأطلقت الرصاص، ثلاث رصاصات أصابت واحدة في أحشاء نالين، وأخرى في قلبها، وثالثة كانت من نصيب رأس نضال؛ فاخترقته؛ فسقط كل من نالين ونضال على الأرض يصارعن الموت.

انقض عادل على لاوجا نزع مسدسه من يدها؛ كي لا تقتل الجميع، تقتل من تبقى في بهو القصر، فلم يتبق غير عادل وممدوح بعدما فارق مهاب الحياة، عندما رأى نالين غارقة في دمائها.

تمت